سلسلة دروس مباني الفكر الإسلامي (٥)

دروس تمهيديّة في

فلسفة الأخلاق

فاطمة آل يوسف

١٤٤٠هـ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية – ١٤٤٠هـ

القطيف

سلسلة دروس مباني الفكر الإسلامي
(١): دروس تمهيدية في المنطق التحليلي
(٢): نظرية المعرفة و مباني المعرفة الدينية
(٣): دروس تمهيدية في التوحيد الفلسفي
(٤): دروس تمهيدية في الهداية: الهادي و المهتدي
(٥): دروس تمهيدية في فلسفة الأخلاق
(٦): دروس تمهيدية في فلسفة الحقوق
(٧): أصول فقه النص الديني
(٨): دروس تمهيدية في التفكر النقدي
(٩): دروس تمهيدية في الحكمة المتعالية
(١٠): دروس تمهيدية في المنطق المقارن

الفهرس

الدرس الأول: فلسفة الأخلاق، مسائله، و الغاية منه ٧

الأخلاق..... ٧

الفرق بين الأخلاق و الآداب..... ٨

علم الأخلاق..... ٨

فلسفة الأخلاق..... ٩

النظام الأخلاقي..... ١١

القيَم الأخلاقية: ذاتيّة و غيريّة..... ١٢

الغاية من دراسة فلسفة الأخلاق..... ١٣

تقييم..... ١٣

الدرس الثاني: الجُمل الأخلاقيّة: أصلها و تحليل مفاهيمها ١٥

المبادئ التصورية في فلسفة الأخلاق..... ١٥

١/ الأصل في الجُمل الأخلاقية: الإخبار أو الإنشاء؟..... ١٥

٢/ تحليل الجُمَل الأخلاقية..... ١٨

١/٢- الموضوع في الجُمَل الأخلاقية..... ١٨

٢/٢- الحُكم في الجمل الأخلاقية..... ٢٠

سبب استعمال الجُمَل الإنشائيّة في الأخلاق..... ٢٥

تقييم..... ٢٦

الدرس الثالث: القيمة المعرفيّة للجُمل الأخلاقية ٢٨

المبادئ التصديقية..... ٢٨

إمكانية معرفة الأخلاق..... ٢٨

أدوات معرفة الأخلاق..... ٢٩

١/ العقل..... ٣٠

٢/ الوحي و الإلهام..... ٣١

تقييم..... ٣١

الدرس الرابع: كيف يتكوّن النظام الأخلاقي؟ ٣٣

النظام الأخلاقي في الرؤية الكونية الإلهية..... ٣٣

النظام الأخلاقي في الرؤية الكونية المادية: هرم ماسلو كنموذج..... ٣٦

التوجيه والاستدلال الأخلاقي..... ٣٩

تقييم..... ٤٠

الدرس الخامس: الأنظمة الأخلاقية غير التوصيفية ٤١

١/ نظرية الانفعالية..... ٤٢

تبيين..... ٤٢

نقد..... ٤٣

٢/ نظرية التواضع الاجتماعي..... ٤٣

تبيين..... ٤٣

نقد..... ٤٤

٣/ نظرية الأمر الإلهي..... ٤٥

مباني النظرية..... ٤٦

نقد..... ٤٦

لوازم الاعتقاد بالنظام غير التوصيفي في الأخلاق..... ٤٧
تقييم..... ٤٩
الدرس السادس: الأنظمة الأخلاقية التوصيفية ٥١
١.الأخلاق الطبيعية..... ٥١
٢.الأخلاق الشهودية (الأخلاق غير القابلة للتعريف)..... ٥٢
٣.الأخلاق الميتافيزيقية (مابعد الطبيعية)..... ٥٣
لوازم الواقعية في الأخلاق..... ٥٥
تقييم..... ٥٦
الدرس السابع: نظريات في الأنظمة الأخلاقية التوصيفية (١) ٥٨
ملاك الأخلاق الصحيحة..... ٥٨
١/ النظريات الغائية..... ٥٩
أهم النظريات الغائية..... ٦٠
١/ اللَّذة الشخصية..... ٦٠
٢/ اللَّذة الأطول..... ٦١
٣/ المنفعة العامة..... ٦٣
تقييم..... ٦٨
الدرس الثامن: نظريات في الأنظمة الأخلاقية التوصيفية (٢) ٦٩
٢/ نظرية الوظيفة..... ٦٩
الاتجاه الأول: الوظيفة العملية (البراجماتية)..... ٦٩
الاتجاه الثاني: الوظيفة المبنائية..... ٧٠
٣/ نظرية السعادة و الفضيلة..... ٧٤
نظرية سقراط..... ٧٤

نظرية أفلاطون..... ٧٥
نظرية أرسطو..... ٧٦
تبيين..... ٧٦
مباني النظرية..... ٧٧
قاعدة الحدّ الأوسط..... ٧٨
نقد..... ٨٠
تقييم..... ٨٠
الدرس التاسع: النظام الأخلاقي في الإسلام ٨٢
مباني النظام الأخلاقي..... ٨٣
١/ المباني الوجودية..... ٨٣
٢/ المباني المعرفيّة..... ٨٨
ملاك القِيَم الأخلاقيّة هو القرب الإلهي..... ٨٩
المراد بالقُرب الإلهي..... ٨٩
بعض آثار القرب من الله..... ٩٠
طريق الوصول الى القرب الإلهي..... ٩٠
علاقة العلم بالإيمان و العمل..... ٩١
درجات القُرب من الله..... ٩٢
بعض مميزات النظام الأخلاقي في الإسلام..... ٩٣
تقييم..... ٩٤
الدرس العاشر: المسؤولية الأخلاقية ٩٦
المراد بالمسؤولية الأخلاقية..... ٩٦
منشأ المسؤولية الأخلاقية..... ٩٦

شروط المسؤولية الأخلاقية..... ٩٧
حدود المسؤولية الأخلاقية و مراتبها..... ٩٨
تقييم..... ١٠٠
المُلحَقات..... ١٠١
المنابع..... ١١٦

مخطط الأبحاث

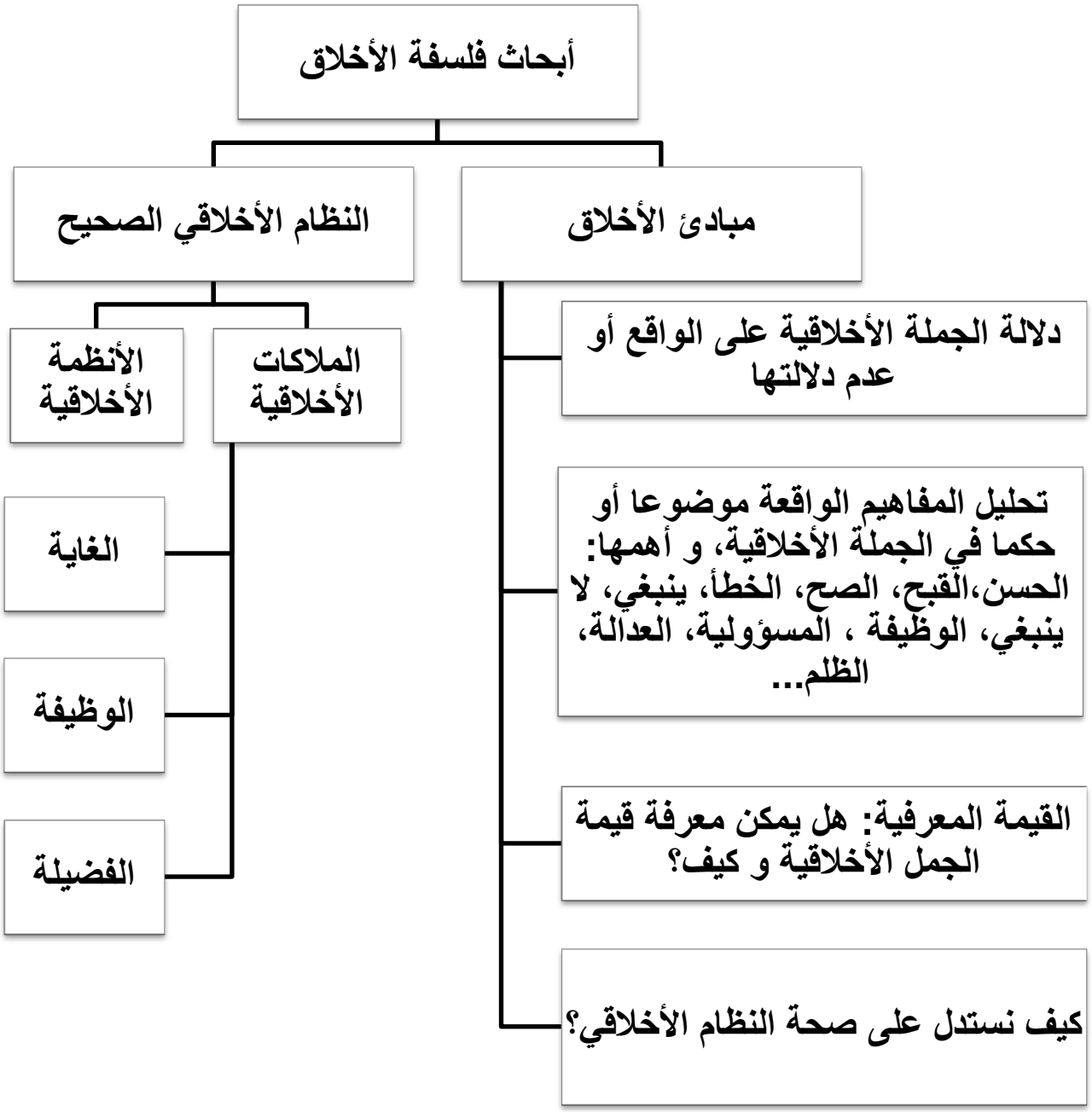

الدرس الأول: فلسفة الأخلاق، مسائله، و الغاية منه

ربما يكون مصطلح (فلسفة الأخلاق) غريباً علينا بالرغم من معرفتنا بالفلسفة و بالأخلاق كلاً على حدة[1].

إن مصطلح الفلسفة تعني التبيين العقلي للواقع و الانسان و كل شيء، في حين يهتم الأخلاق بالفضائل و الرذائل أو بالسلوك الحسن و القبيح، بالتالي لابد من التعرف على الأخلاق أولا ثم ما يشابهه من مفردات ، حتى نتعرف على فلسفة الأخلاق، من هنا سنذكر تعريف الأخلاق و الأدب و علم الأخلاق.

الأخلاق

مجموعة من الصفات الراسخة في النفس والتي توجِب صدور أفعال تناسبها بدون الحاجة الى التأمل والتفكر، كما تُكسِب السلوك والحياة صِبغة خاصة ونمط خاص.

توضيح ذلك: لطالما حكمنا على سلوكنا أو سلوك الآخرين بالقول مثلاً (ما قمت به في هذا الموضوع من عمل لم يكن صحيحاً) أو (بدلاً من أن أخاف من توبيخ صديقي يجب أن أخبره بالحقيقة) و غيرها من

[1] مجتبى مصباح، المنهج الجديد في تعليم الأخلاق.

المواقف و الأحكام على أعمالنا و أعمال الآخرين، و بناء على هذه الأحكام نقيّم علاقتنا بالآخرين فنختار الأصدقاء و نحدد طريقة حياتنا، فهل يمكننا العيش بدون وجود هذه الأحكام؟ هذا ما يلزمنا في البحث عن حقيقة الأحكام القيمية الأخلاقية.

الفرق بين الأخلاق و الآداب

يقصد بالآداب البعد الظاهري للسلوك مثلا احترام الأستاذ له قيمة أخلاقية فيظهر على شكل سلوكيات مثل الوقوف عند استقباله وعدم قطع حديثه، فأصل الاحترام قيمة أخلاقية ترتبط بباطن الفرد أما نحو الاحترام فهو أدب ظاهري. كما أن الآداب تتأثر بثقافة المجتمع بشدة، وتختلف باختلاف الزمان و المكان على خلاف الأخلاق.

علم الأخلاق

لعلم الأخلاق عدّة تعريفات منها:

أنه هو العلم الذي يبحث في الصفات النفسانية الباطنية[1] والسلوكيات الاختيارية[1] المستحسنة و غير المستحسنة، و يعلمّنا طرق كسب المحاسن و اجتناب القبائح.

[1] هذا هو رأي أكثر العلماء المسلمين.

أو أنه مجموعة قوانين السلوك التي يستطيع الانسان بها الوصول لهدفه.

أو أنه علم يبحث عن قوانين السلوك الانساني الصادرة عنه بإرادته من أجل الوصول للهدف

و بهذا فإن علم الأخلاق يبيّن لنا الفضائل و الرذائل الأخلاقية و طرق الوصول إليها، و بذلك هو يقدّم لنا قواعد لتقييم الأفعال الاختيارية، هذه القواعد تحمل في طيّاتها الهدف الذي من أجله يلتزم الانسان بتلك الفضائل و يبتعد عن الرذائل.

فلسفة الأخلاق

هو العلم الذي يبحث في:

١. تحليل الجملة الأخلاقية: كيف يكتشف الذهن الانساني أحكام الجُمل الأخلاقية و كيف يكتشف موضوعاتها؟؛
٢. دراسة منشأ الأحكام الأخلاقية: هل هي ناشئة من الواقعيات أو أنها مجرد جمل إنشائية اعتبارية محضة؟؛

---

[١] **هذا هو تعريف بعض علماء الغرب الذين يرون أن الأخلاق تتعلق بالسلوك الظاهري و ليس بالصفات الباطنية حيث يذكر فولكيه أن علم الأخلاق هو عبارة عن مجموعة من قوانين السلوك التي توصل الانسان الى هدفه عندما يلتزم بها؛ نقلاً عن: مصباح، مجتبى، فلسفة الأخلاق، ص١٧.**

٣. دراسة القيمة المعرفية للجمل الأخلاقية: ما هي الأدوات المعرفية التي نستخدمها في تقييم الجمل الأخلاقية و ما هي حدود كل أداة منها؟!

٤. بيان طريقة الاستدلال على صحة الأحكام الأخلاقية: كيف نستدل على حسن العمل الأخلاقي أو قبحه أو صحته أو خطئه...؟

النقطتان الأولى و الثانية تمثلان المبادئ التصورية في علم الأخلاق في حين تمثل النقطتان الأخيرتان المبادئ التصديقية فيه.

كما سنتطرق إلى تحليل الأنظمة الأخلاقية الموجودة و نقد مبانيها ثم إثبات أن النظام الأخلاقي الإسلامي هو النظام الأتم و الصحيح، و لا بديل عنه من بين جميع الأنظمة الموجودة.

بناء على ذلك يمكننا تقسيم الأبحاث إلى قسمين:

١. المبادئ التصورية و التصديقية و التي تدرس بعنوان مباني الأخلاق؛

٢. أهم الأنظمة الأخلاقية مع تحليل مبانيها الوجودية و المعرفية ثم مقارنتها بالنظام الأخلاقي الإسلامي، و التي تدرس عادة بعنوان النظام الأخلاقي الصحيح .

إذن فلسفة الأخلاق هو العلم الذي يبحث عن المبادئ التصورية و التصديقية لعلم الأخلاق بهدف الوصول الى نظام أخلاقي معقول و موجّه يبتني على الملاك الصحيح في تقييم الأحكام الأخلاقيّة.

ما المراد بالنظام الأخلاقي، و ماذا نعني بتقييم الأحكام الأخلاقية؟

النظام الأخلاقي

هو عبارة عن مجموعة منسجمة من الجُمل الأخلاقية و الأحكام القيَمية التي تتمحور جميعها حول هدف واحد، هذا الهدف يمثّل الملاك في النظام الأخلاقي، بالتالي يجب أن نثبت أنّ هناك علاقة واقعية بين السلوك الصادر من الانسان و الملاك أو غايات هذا السلوك، كما يجب أن نثبت أنّ هناك أخلاقيّات ثابتة غير متغيّرة من انسان لآخر و أنه يمكن الوصول إلى تلك الغايات و الملاكات من خلال الإلتزام الأخلاقي، كل هذا يُدرس في مباني الأخلاق.

من هنا فإن هناك ترابط و علاقة واقعية بين النظام الأخلاقي الصحيح و مباني الأخلاق، فلابد من تبيين مباني الأخلاق بشكل ينسجم مع النظام الأخلاقي في الإسلام.

القيَم الأخلاقية: ذاتيّة و غيريّة

قيمة العمل و أهميته تكمُن في كونه هو الهدف أو أنه موصِل إلى الهدف، فبعض الأعمال تكون موصلة لأهداف و غايات بالتالي تكون قيمتها غيرية و عرضية، أما إذا كان العمل هو بذاته الهدف فإن قيمته تكون ذاتية، مثلاً عندما يتحرر المجتمع و تقام العدالة فإن هذا المجتمع يصبح سعيداً، و بناء على نظريتنا الفلسفية للوجود فإننا نؤمن بوجود إله و هو هدفنا النهائي في حين أن الحرية و العدالة ليست إلا أهداف موصلة إلى ذلك الهدف النهائي، الآية (اعدلوا هو أقرب للتقوى) تبين أن العدالة وسيلة للوصول الى التقوى فالعدالة عمل آلي موصِل و ليست هدف نهائي أما التقوى، فهي القرب من الله، (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) التقوى من الوقاية و الحفظ، إذن في النظرية الإسلامية كل الأعمال قيمتها عرَضية و القيمة الذاتية تكمن في عمل واحد فقط هو التقرب من الله.

إن الهدف النهائي في بعض الأنظمة الأخلاقية الأخرى –كما سيأتي- هو السعادة أو العدالة فتكون لها قيمة ذاتية في تلك الأنظمة الأخلاقية، في حين أن كل ما يؤدي إليها تكون قيمته غيرية[1].

[1] راجع: دروس الشيخ عبد الحميد واسطي، من مؤسسة نور في مدينة مشهد، الدرس الخامس.

الغاية من دراسة فلسفة الأخلاق

تبيّن مما ذُكر أنّ الغاية من دراسة فلسفة الأخلاق هو التعرف على منشأ الأخلاق الإسلامية و ملاكاتها، و امتلاك قدرة الدفاع عنها دفاعاً عقلانياً و القدرة على اختيار السلوك الأفضل و الأمثل.

تقييم

١. ما الفرق بين الأخلاق وعلم الأخلاق و فلسفة الأخلاق؟
٢. ما هو السر في تقديم فلسفة الأخلاق على علم الأخلاق؟
٣. لنفترض أنك في مقام النهي عن المنكر قلت لأحدهم أن يترك أمر مّا مما لا ينبغي فعله، و لكنه أجابك بالقول (إذا لم يعجبك هذا العمل فيمكنك أن لا تقوم به و لكنه حسن في رأيي و أريد القيام به)، هل أن اختلافكما يرجع إلى علم الأخلاق أم إلى فلسفة الأخلاق؟
٤. ما الفرق بين القيمة الذاتية و الغيرية؟
٥. عيّن نوع القيمة في الأمثلة التالية:

أ- إنَّ ربح هذا العمل لا يُقيّم مع ما صُرف فيه

ب- إن شراء الأدوية من هذه الشركة ذو قيمة باللحاظ الاقتصادي إلا أن قيمته العلاجية أقل من الأدوية المشابهة له من الشركات الأخرى

الدرس الثاني: الجُمل الأخلاقيّة: أصلها و تحليل مفاهيمها

المبادئ التصورية في فلسفة الأخلاق

١. الأصل في الجُمل الأخلاقية: الإنشاء أو الإخبار

٢. تحليل المفاهيم المكوّنة للجُمل الأخلاقية (الموضوع و الحكم)

١/ الأصل في الجُمل الأخلاقية: الإخبار أو الإنشاء؟

تأمل في الجمل الأخلاقية التالية:

١. قل الصدق

٢. العدل حسن

٣. الظلم قبيح

هل الأصل في الجمل الأخلاقية هو الإخبار أم الإنشاء؟

إذا كانت الجملة إخبارية أي أنها تخبر عن واقعيات موجودة في الخارج فتصفها و بالتالي فإن الجمل الأخلاقية لها منشأ واقعي تكويني ،

أما إذا كانت الجملة إنشائية فإنها تولّد الواقعيات، فعندما أقول لأحدهم احضر لي كأس ماء فإنني أريد منه أن يقوم بعمل واقعي مّا ، هل الأحكام الأخلاقية مثل هذه الأوامر و النواهي الإنشائية؟

لنتأمل في فعل الأمر المذكور: احضر لي كأس ماء، سنجد أنه يولّد واقعية من الواقعيات، و لكنه ناشئ أيضا من واقع تكويني كأن يكون الآمر عطشاناً فإنه بهذه العبارة يخبرنا عن عطشه و احتياجه للماء أو أي سببٍ آخر أدى لإصدار هذا الأمر، فالأوامر و النواهي و إن كانت تولّد واقعيات إلا أنها هي أيضا متولدة من واقعيات، و تخبر عنها، فهي ليست إنشائية محضة!

و هذا مبدأ تصوري أساسي أدى الى انقسام الأنظمة الأخلاقية الى قسمين؛ قسم يعتقد أن الجمل الأخلاقية ليست إلا توصيفا للواقع التكويني و لها ملاك واقعي حقيقي، علينا أن نكتشفه ثم نقيّم الأخلاق بناء عليه، فالتقييم هنا حقيقي و هو إما ذاتي إذا كان هو نفسه الملاك الذي تتمحور حوله الأحكام الأخلاقية و الذي عبرنا عنه بالهدف في الدرس الأول و إما عرَضي إذا كان موصلاً للهدف.

و قسم يعتقد أن الجُمل الأخلاقية غير توصيفية للواقع الخارجي و بالتالي فإنها بحاجة الى واضع و جاعل يجعلها و يعتبرها، كما يحتاج الواضع الى وضع ملاك تتمحور حوله تلك الأخلاقيات لتظهر على شكل

منظومة مترابطة، فالتقييم هنا ليس ذاتيا أو عرضيا و إنما هو نسبي يرتبط باعتبار المعتبِر.

يبتني النظام الأخلاقي في الإسلام و غيره من الأنظمة على وجود ملاكات واقعية، فالأنظمة الأخلاقية على قسمين إما أنها توصيفية أو غير توصيفية. فالأنظمة التوصيفية هي الأنظمة التي تعتقد بوجود ملاك واقعي للنظام الأخلاقي يكتشفه العقل و قد اختلفوا في تشخيص ذلك الملاك، أما الأنظمة غير التوصيفية فقد ذكروا أنه لا يوجد ملاك واقعي للأخلاق يكتشفه العقل و اختلفوا في منشأ هذا الملاك فادعى بعضهم أنه ناشئ من أوامر الله، و ادعى آخرون أنه ناشئ من مشاعر الانسان وانفعالاته أو من التوافق الاجتماعي كما سيأتي.

٢/ تحليل الجُمَل الأخلاقية

يجب علينا أوّلاً تفكيك الجمل الأخلاقية الى مفرداتها، ثم تحليل كل مفردة منها الى معانيها ومفاهيمها حتى نتعرف على المراد من الجملة الأخلاقية وكيف تكونت العلاقة بين مفردات الجملة الأخلاقية، فعندما نقول (العدل حسن)، فإن (العدل) هو الموضوع في الجملة، و (حسن) هو الحكم؛ حيث حكمنا على العدل بأنه حسن، و السؤال: كيف يولّد العقل الانساني مفهوم العدل و كيف يولّد مفهوم الحُسن؟

١/٢- الموضوع في الجُمَل الأخلاقية

بالتأمل في موضوع الجُمل الأخلاقية يتضح أنّ مفاهيماً مثل العدل، الظلم، الغصب... ليست صفات مفاهيمية صِرفة لا علاقة لها بالواقع، كما أنه لا يوجد في الخارج شيء بعينه يطلق عليه اسم (العدل) أو (الظلم) لكن هذه المفاهيم ينتزعها العقل الانساني من الارتباط الحقيقي بين أفعال الانسان الاختيارية و الواقعيات الخارجية ثم يُصدِر عليها حكماً مّا!.

إذن لدينا قاعدة كلية في انتزاع المفاهيم الذهنية حيث يقوم العقل بفعالية مهمة جدا و هي المقارنة بين الأفعال الاختيارية و آثارها الخارجية ثم يقارن بين تلك الآثار فيميز بين العدل و الظلم بسبب

اختلاف التأثير، ثم يقول هذا المصداق ألف من مصاديق العدل و ذاك المصداق ب من مصاديق الظلم، لأن الأشياء تُعرف بأضدادها، لكن لماذا نختلف في الحكم على المصاديق فنرى بعض الأعمال هي من مصاديق العدالة في حين يراها آخرون أنها من مصاديق الظلم؟

هنا نذكر مثال للتوضيح: إننا عندما نتأمل في عدم سيطرة الفرد على غرائزه و رغباته اللامتناهية الذي يستوجب عدم قدرة جميع الناس على الوصول الى السعادة و الكمال، فنضع حدوداً يلتزم كل فرد برعايتها، فتسمى رعاية تلك الحدود عدلاً و الخروج عنها ظلماً. كما أن قانون الملكية الفردية قد وُضع من أجل تأمين متطلّبات الحياة بطريقة آمنة، و بناء على ذلك فإن كل تصرف في مال الغير بدون رضاه يسمى غصباً. فهذه الموضوعات مأخوذة –منتزعة- من ارتباطات واقعية بين فعل الانسان و أمر واقعي خارجي، هذا الانتزاع يكون على أساس ملاك واقعي و قد اختلفوا في هذا الملاك كما سيأتي و لذلك اختلفوا في مصاديق العدل و الظلم و الغصب.

هنا يمكن صياغة قاعدة كلية أخرى و هي أن (كل ما يرفع بعض احتياجات الانسان فإنه مرغوب و يُعتبر من مصاديق العدالة كما نحكم عليه بالحُسن، أما كل ما يؤدي الى عدم تأمين احتياجات الانسان أو زيادة احتياجاته و توسيع دائرتها فإنه ظلم و قبيح).

٢/٢- الحُكم في الجمل الأخلاقية

يمكن تصنيف الأحكام الأخلاقية الى أربعة أصناف أساسية و هي:

١. ينبغي و لا ينبغي
٢. حسن و قبيح
٣. صحيح و خطأ
٤. وظيفة و مسؤولية

السؤال: كيف يولّد الذهن هذه المفاهيم؟

١/٢/٢- كيفية توليد الذهن للمفهومين : ينبغي و لا ينبغي

ما الفرق بين الجُمل التالية:

١. ينبغي عليك رعاية حقوق الآخرين
٢. راعِ حقوق الآخرين
٣. من أجل حفظ النظام الاجتماعي و انتشار الأمن!، ألا ينبغي أن تراعِ حقوق الآخرين؟!

في الوهلة الأولى سنجد أن معنى (ينبغي) في الجملة الأولى هو الأمر حيث أنها تحقق نفس معنى فعل الأمر (راع) في الجملة الثانية، لكن

عندما نتأمل في الجملة الثالثة سنلتفت الى أن (ينبغي) هنا تنطوي على خبر واقعي ترتبط به ارتباط العليّة و المعلوليّة، بمعنى أن كل من يقرّ بضرورة المعلول -و هو هنا في المثال حفظ النظام الاجتماعي و الأمن- فإنه سوف يحكم بضرورة العلة و قد عبّرنا عن ضرورة العلّة بالعبارة (ينبغي)، إذن ينبغي هنا ليست أمرا اعتباريًا و إنما هي ضرورة واقعية[1].

الفرق بين الحقائق و الاعتباريات

الأمور الاعتبارية هي التي تولِّدها أذهاننا بدون النظر الى الواقع و هي المفاهيم التي تكون تحت تصرُّفنا و اعتبارنا، فالذهن خلاّق لما يشاء، يمكنه خلق أي شيء، و يغيّره كما يشاء! هذا هو الاعتبار المقصود به هنا[2].

أما الحقائق فإنها لا تتغير بإرادتنا، بل لها تقرر في العالم الخارجي، حتى لو أردت تغييره فإنه لا يتغير بل هو قانون حاكم على العالم سواء وُجد الانسان أم لم يوجد بل حتى من ينكر الله لا يمكنه التغافل عن هذه القوانين أو انكارها و هذا القوانين هي منشأ قيمة القضايا الأخلاقية، إذن يمكن تقييم القوانين الأخلاقية إذا كانت ناشئة من الواقع و التكوين، أي إذا كانت تخبر عن العلاقات العليّة و المعلوليّة

[1] تسمى ضرورة بالقياس، وهي من المفاهيم الثانوية الفلسفية.
[2] هناك معاني أخرى للاعتبار يتم ذكرها عادة في الأبحاث الفلسفية إلا أنّها لا تهمّنا هنا.

التكوينية أما إذا كانت ناشئة من الاعتبار العقلي و ميول النفس الانسانية فلا قيمة معرفية لها.

٢/٢/٢- كيفية توليد الذهن للمفهومين : الحُسن و القبح

إذن للذهن الانساني قدرة على التحليل و لحاظ الواقعيات من زوايا مختلفة، فعندما تتغير الجهة التي يلاحظ من خلالها الواقعيات فإنه يكتشف مفاهيم جديدة و يشير إليها بألفاظ تناسبها.

هنا مفهوم (الحسن) لا يخرج عن هذه الحقيقة ، فالحسن في الجملة الأخلاقية يتعلق بفعل الانسان الاختياري، بمعنى أن هناك أعمال عندما يختارها الانسان و يقوم بها فإنه يُمدَح و يُستحسَن فِعله، و هناك أعمال أخرى مذمومة عندما يقوم بها الانسان يُوصف فعله هذا بالقبيح.

لكن ما السبب الذي من أجله وُصف الفعل بالحسن أو القبيح؟ هل السبب يرجع لارتباط ذلك الفعل بميول الانسان و رغباته أم ارتباطه برغبات المجتمع و التوافق الاجتماعي أم لارتباطه بأمر واقعي تكويني؟، مثلاً عندما يُقال (أداء الأمانة عمل حسن) أو (الغيبة عمل قبيح)، من الواضح أن العمل يتصف بالحسن و القبح لوجود علاقة تكوينية واقعية بين العمل و نتائجه.

بالالتفات الى ما ذكرناه من أن هناك علاقة علية و معلولية ضرورية بين فعل الانسان الاختياري و نتائجه، فإننا هنا نريد أن نضيف أنّ تقييم الأعمال تقييماً أخلاقياً، ووصفها بالحسن و القبح يرجع الى كون ذلك نتيجة ذلك العمل هو الهدف و الكمال النهائي المطلوب أو أن العمل مُوصل و مقرّب الى الهدف النهائي فإذا كان القيام بالعمل هو الكمال النهائي فإن قيمته ذاتية و إذا كان القيام بالعمل يقرّبنا من الكمال النهائي فإن قيمته تبعية و كلا العملين حسن، فالحسن صفة يتصف بها كل عمل اختياري يُوصِل الى الكمال النهائي المطلوب، فعندما نقارن بين الخيارات الموجودة لدينا و التي تُوصِل الى الهدف، نجد بعضها يزاحم احتياجات أخرى لدينا أو هناك موانع تمنع من الوصول للهدف عند القيام ببعض الأعمال التي لولا وجود تلك المزاحمات و الموانع لأوصلتنا للهدف أو قرّبتنا منه، فالحسن و القبح علاقة واقعية نحصل عليها بالمقارنة بين الأعمال و الهدف المطلوب و هي تشير الى التناسب أو التغاير و عدم التناسب بين تلك الأعمال و الهدف المطلوب، إذن هذه المفاهيم منتزعة من الواقع[1].

[1] لذلك تسمى مفاهيم ثانوية فلسفية.

٣/٢/٢- كيفية توليد الذهن للمفهومين : الصحيح و الخطأ

إذا تأكدنا من وجود علاقة واقعية بين العمل و الهدف المطلوب فنقول أن هذا العمل يوصل الى الهدف المطلوب إذن هذا العمل صحيح، أما العمل الخطأ فهو العمل الذي لا يوصلنا الى الهدف المطلوب.

في الواقع، إن صحة العمل أو خطأه مقدمة على حسنه و قبحه؛ أي أن الانسان يتأكد أولاً من إيصال العمل الى الهدف فإذا اطمأن من أنّ العمل صحيح أي يُوصِل إلى الهدف، عندها يقوم بمحاسبات عقلية، فيحسب المنافع و المضار، فإذا غلبت المنفعة على المضار يحكم بحسن العمل ثم إذا توصلنا الى أن هذه المنفعة حياتية و ضرورية لا يمكن تجاوزها أو التغافل عنها، عندها تتولد الضرورة فنقول ينبغي القيام بذلك العمل.

٤/٢/٢- كيفية توليد الذهن للمفهومين : الوظيفة و المسؤولية

مفهوم الوظيفة يتولد عندما يكون لدينا إلزام، أي بعد أن تتولد الضرورات (ينبغي) و (لا ينبغي) تتولد من خلالها الوظائف، و عندما

يصبح الانسان موظّفاً بعملٍ مّا فإنه مسؤول و محاسَب على ذلك العمل فتتولد المسؤولية.

سبب استعمال الجُمَل الإنشائيّة في الأخلاق

إذا كانت الجُمل الأخلاقية لها منشأ واقعي و تخبرنا عن علاقات واقعية فما هو السبب الذي جعلنا نستعمل الجمل الإنشائية في الجمل الأخلاقية؟

هناك عدة أسباب، أهمها أن الغرض من الجُمل الأخلاقية أن يلتزم الانسان بالفضائل و يترك الرذائل و هذا الغرض لا يحصل بمجرد الإخبار فالجُمل الإنشائية (الأوامر و النواهي) أوقع في النفس و أشدّ تأثيراً.

كما أن لكل حكم أخلاقي نتائج و آثار كثيرة قد يدرك العقل بعضها و قد لا يدرك الكثير منها، لأن كل عمل يقوم به الانسان –بناء على الرؤية الكونية الإلهية- فإنه يؤثر على كل العوالم و ليس على عالم الدنيا فقط، في حين أن الانسان لا يدرك كثيراً من حقائق عالم الدنيا فضلا عن العوالم الأخرى، و هذا شبيه بالمريض الذي يذهب الى الطبيب فإن الطبيب يصف له الدواء بدون أن يشرح له أهمية الإلتزام

بكل نوع من أنواع الأدوية و أثرها على بدنه و صحته، ذلك لأن المهم هو الإلتزام بالدواء حتى يحصل الشفاء كذلك الحال بالنسبة للأخلاق[1].

تقييم

١. حدّد الجُمل التي تحكي الواقع والتي لا تحكي الواقع في ما يلي:

أ- تدور الأرض حول الشمس

ب- هذه الوجبة تصبح ألذّ بكثير عندما نضع البهارات عليها

ت- قانون العمل الجديد لا يرضي بعض العُمّال

ث- من الآن فصاعدًا لا يمكن للطالب الذي لم يطّلع على الدرس الحضور للدرس.

٢. ما هو المراد من الرابطة بين (ما ينبغي) أي الأوامر، و (ما هو موجود) أي التكوين والواقع؟

٣. حدّد معنى اللزوم في الجُمل التالية:

أ- اللازم حضور نصف الأعضاء لاعتبار هذا الاجتماع اجتماعاً رسمياً

ب- أعتقد أن تنظيم العقد لازم دفعاً لسوء الاستفادة المحتملة

[1] راجع: مصباح، مجتبى، فلسفة الأخلاق، ٣٧.

ت- يعتقد بعض أولياء الأمور بضرورة وجود برنامج معيّن لتنمية أجسام أولادهم إلا أنهم لا يرون من اللازم وجود برنامج لتربيتهم.

الدرس الثالث: القيمة المعرفيّة للجُمل الأخلاقية

المبادئ التصديقية

١. القيمة المعرفيّة للجُمل الأخلاقيّة

٢. كيف يتكوّن النظام الأخلاقي؟

٣. كيف نستدل على صحة حكم من أحكام النظام الأخلاقي

نبحث هنا أحد المباني التصديقية المهمة في الأخلاق و هو كيف نُعرِّف الأخلاق؟ ما هي الأدوات التي تساعدنا على معرفتها و ما هي حدود كل أداة؟ بالإضافة الى طرق التوجيه و الاستدلال على صحة أو خطأ الأخلاق و هذا ما يعرف بتقييم القضايا الأخلاقية.

إمكانية معرفة الأخلاق[١]

هناك اتجاهان في معرفة الأخلاق: الاتجاه الأول يعتقد بعدم إمكان معرفة الأخلاق و الاتجاه الآخر يعتقد بإمكانية معرفة الأخلاق.

[١] ر.ك: فلسفه أخلاق با رويكرد تربيتى.

الاتجاه الأول: عدم إمكانية معرفة الأخلاق: يعتقدون أنه لا يوجد للأخلاق أي واقعية ، و أن الاعتقاد بالأخلاق هو صِرف تصور و ليس تصديقاً و أن التصور الأخلاقي لا يحتمل الصدق و الكذب و أن الجمل الأخلاقية هي مسائل قيميَّة صِرفة و ليست واقعية. إذن لا يمكن معرفة الأخلاق ولا معنى للكلام عن كيفية معرفتها، لأنها شبيهة بالمسائل الذوقيّة.

الاتجاه الثاني: إمكانية المعرفة الأخلاقية: فيعتقدون أنّ الجُمل الأخلاقية هي تصديقات أخلاقية، يمكن أن تكون صادقة و موجَّهة أي يمكن الاستدلال على صحتها.

أدوات معرفة الأخلاق

لا يمكن فَصْل الأدوات المعرفية التي من خلالها نعرف الأخلاق عن أدوات المعرفة البشرية، فالفرق الوحيد بين الأخلاق الدينية و الأخلاق اللادينية هو وجود منبع ديني يسمى الوحي الإلهي و الذي يعتبر من المنابع المعرفية الخاصة بالدين.

أهم الأدوات و المنابع في المعرفة الأخلاقية هي العقل و الوحي و الإلهام، و سندرسها باختصار:

١/ العقل

قارب علماء الشيعة على الاتفاق بأن الحسن والقبح أمران عقليان أي أن العقل يمكنه إدراك الأصول الأخلاقية وكلياتها بدون الحاجة الى الرجوع الى الشرع و الدين، فالعقل يمكنه إدراك صنفين من الأفعال: الصنف الأول من الأفعال يدركها إدراكاً بديهياً مثل العدل و الظلم و الصنف الثاني يدركها بعد التفكر و التأمل مثل حسن الحياء و الوفاء بالعهد و أداء الأمانة و قبح الخيانة و نقض العهد التي يدركها العقل الانساني بالتأمل و الاستنتاج، و يمكنه تشخيص حسنها و قبحها بإرجاعها الى البديهيات التي تمثل الصنف الأول من إدراكاته.

إن هذه القضايا الأخلاقية البديهية التي يدركها العقل يطلق عليها الدين مصطلح (الفطرة الأخلاقية)، فالفطرة تشمل مجموعة من المعارف البديهية و الميول الباطنية، و من خصوصيات الفطرة أنها غير اكتسابية، و توجد بالقوة في جميع الأفراد و بما أنها بالقوة فإن إبرازها و تفعيلها هو أمر اختياري، كما أنها متعالية و قابلة للتكامل المطّرد، فوجود ميول باطنية الى المحاسن الأخلاقية و التنفر من القبائح يمكن أن يكون أفضل معيار لتشخيص الحسن و القبح الأخلاقيين، و من مميزات هذا المعيار المعرفي أنه عام لجميع الناس، كما يتميز بسهولته و الاستغناء به عن الأدلة العقلية.

٢/ الوحي والإلهام

و هذا طريق للمعصومين عليهم السلام، فالوحي خاص بالأنبياء و الإلهام هنا خاص بالأئمة عليهم السلام. إن للأحكام الأخلاقية علاقة بكل العوالم الدنيوية و الأخروية، من هنا فلا يستغني الانسان المعتقد بالآخرة عن هذا الطريق لمعرفة الأخلاق و تقييمها، و ذلك لأن مصالح الأفعال و مفاسدها تمتد من هذا العالم إلى عوالم غيبية لا يعرفها إلا من اتصل بتلك العوالم من المعصومين عليهم السلام. فالعقل قاصر عن إدراك كثير من الحقائق خاصة تلك التي تتعلق بعوالم الغيب و الملكوت، فيأتي مضمون الوحي و الإلهام الذي وصلنا من المعصومين ليكشف للعقل ما لا يستطيع إدراكه؛ إذن العقل يمكنه إدراك كثير من المحاسن و القبائح إلا أنه يقصر عن بعض مراتبها و هي كثيرة أيضاً، فيأتي هنا دور الوحي و الإلهام.

تقييم

١. هل يمكن التعرف على النظام الأخلاقي؟ ولماذا؟

٢. ما دور العقل في المعرفة الأخلاقية؟ و ما هي حدوده في المسائل الأخلاقية؟

٣. لماذا نحتاج للوحي في تشخيص الأحكام و المسائل الأخلاقية؟

الدرس الرابع: كيف يتكوّن النظام الأخلاقي؟

النظام الأخلاقي في الرؤية الكونية الإلهية

عندما نريد وضع قانون سلوكي (نظام أخلاقي) فإننا بحاجة إلى معرفة التالي:

١. معرفة الانسان واحتياجاته: ما هي احتياجات الانسان؟ هل هي مادية أم هناك احتياجات معنوية أيضاً؟ ؛و ذلك لأن معرفة الاحتياجات هو أساس الأخلاق و الحقوق؛ لأن الهدف من القوانين الأخلاقية و الحقوقية تأمين احتياجات الانسان لضمان تكامله و استمراره في التكامل

٢. معرفة التأثير و التأثر سواء بين الاحتياجات أو بين العلاقات القائمة بين الموجودات؛

٣. معرفة كيفية إشباع هذه الاحتياجات؛ بطريقة لا توجب إيجاد احتياجات جديدة للإنسان هو في غنًى عنها.

٤. معرفة هدف الانسان ، و إلى أين نريد إيصاله من خلال كل هذه القوانين؟...

لنتأمل في شبكة الوجود التالية[1]:

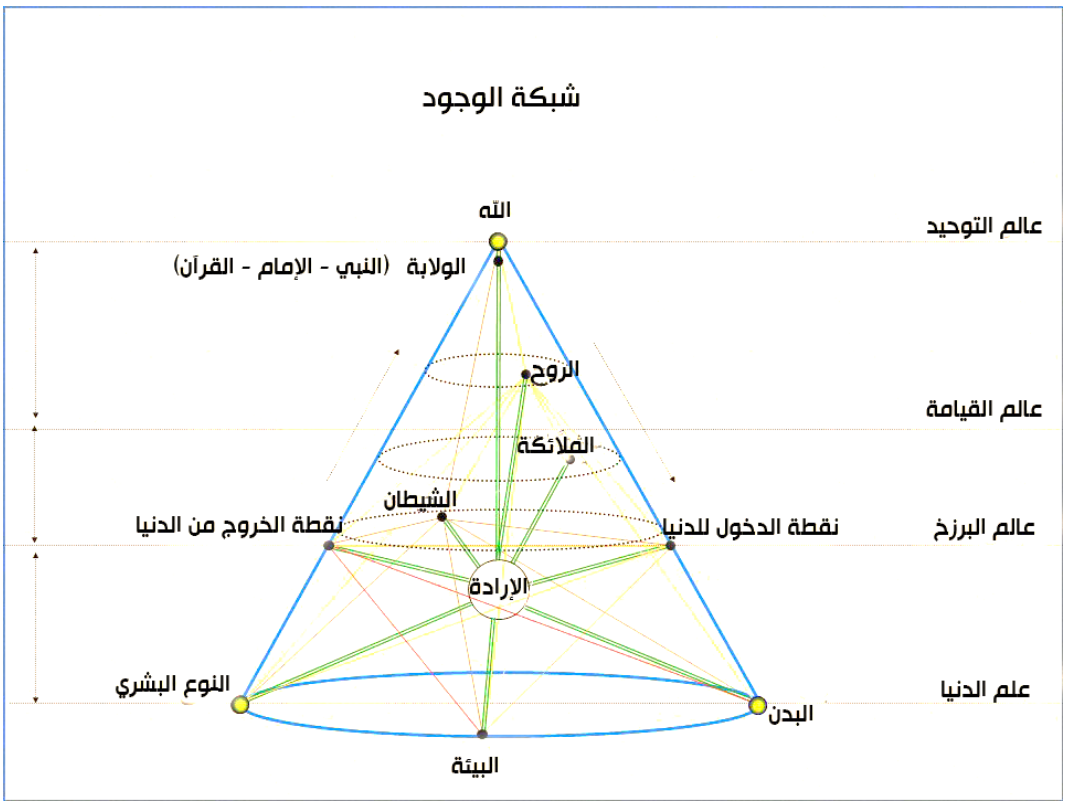

يمثل عالم الدنيا بقاعدة المخروط و العنصر الأساسي في هذا المخروط هو الإرادة أي إرادة الانسان، فالانسان بين عالمين عالم الملك و عالم الملكوت و هو يؤثر و يتأثر بالعالمين معاً، كما يؤثر و يتأثر بالموجودات من حوله، إن الانسان مرتبط ارتباط وثيقاً ببدنه و ذهنه و فكره و قلبه و هو مرتبط بأفراد مجتمعه و بالبيئة من حوله و لكل علاقة من هذه العلاقات مقتضيات و احتياجات لابد من إشباعها،

[1] ر. دروس الأستاذ عبد الحميد واسطي في فلسفة الأخلاق (باللغة الفارسية).

كما أنه مرتبط بموجودات العوالم الأخرى كالملائكة و الشياطين و الأولياء و المبدأ (الله)...

لنتأمل في كل الخطوط الوسطية التي تعني أنّ كل شيء مرتبط بكل ما حوله من الموجودات فإذا أردنا أن نضع قانوناً لسلوك الانسان علينا أن نحسب حساباً لكل هذه الارتباطات و العلاقات، فعندما أريد أن أضع قانوناً يحكم علاقة الانسان مع أفراد نوعه -يعني العلاقات الاجتماعية- ينبغي أن أدرس آثار هذا القانون على علاقته بفكره و بدنه و قلبه و علاقته بالبيئة و علاقته بالملائكة و بالشياطين و بالله ... كل هذه الموجودات سوف تؤثر على كيفية صياغة القانون، و سوف تتأثر علاقة الانسان بها من خلال النتائج التي ستنتج من تطبيق ذلك القانون! نحن نريد ترتيب العلاقات و تحريك الخطوط بطريقة متوازنة متعادلة بحيث تتحرك حركة تكاملية نحو الله، فيتحقق الهدف وهو القرب الإلهي.

إنّ أي حركة خاطئة تؤدي الى تشويه و تعطيل في حركة كل الكون!. من هو الذي يمكنه محاسبة الحركة و بيان كيفيتها حتى نصل الى المبدأ؟

إن الانسان يعلم بأنه يؤثر و يتأثر بموجودات علوية لكنه لا يعلم كيف يتأثر بها و متى، فما لم يعرف ذلك فإنه قاصر عن وضع قوانين

لحركته التكاملية، فكيف يدعي الانسان المتديّن أنه يستطيع وضع قانون يوصِلُه الى هدفه بحيث يُحرِّك كل شبكة الوجود المترابطة نحو الهدف المطلوب؟!

إذن حتى نصل الى النظام الأخلاقي الإسلامي علينا أن ندرك حقيقة الوجود و أن ندرك علاقات التأثر و التأثير القائمة بين الموجودات و أن نقرّ بقصور العقل الانساني عن إدراك كثير من أسرار هذه العلاقات، و أن نلتفت إلى أن احتياجات الانسان أوسع بكثير من الاحتياجات المادية.

النظام الأخلاقي في الرؤية الكونية المادية: هرم ماسلو كنموذج

ذكر عالم النفس الأمريكي أبراهام ماسلو هرم يبيّن فيه احتياجات النفس البشرية في خمس مستويات هي:

١. الحاجات الفسيولوجية: مثل الجوع و العطش و تجنب الألم و الجنس و غيرها من الاحتياجات التي تخدم البقاء البيولوجي بشكل مباشر.
٢. حاجة الأمان كالحاجة الى الإحساس بالأمن و الحماية و الثبات و النظام

٣. حاجة الحب والانتماء وتشمل مجموعة من الاحتياجات ذات التوجه الاجتماعي مثل الحاجة الى علاقة حميمة مع شخص آخر أو الحاجة الى علاقة تُشعِر الانسان بالألفة كالعلاقات الأسرية أو العلاقات الناشئة من الأنشطة الاجتماعية

٤. حاجة التقدير: حيث يرى ماسلو أن الانسان بحاجة للاحساس باحترام النفس و هو تقدير باطني و اكتساب الاحترام من الآخرين و هو تقدير خارجي يتمثل في السمعة الحسنة و النجاح و الموقع الاجتماعي و الشهرة و المجد...

٥. حاجة تحقيق الذات وهي احتياجات عُليا لا يصلها الانسان إلا بعد تحقيق و إشباع الاحتياجات الأدنى ويراد بتحقيق الذات أي استنفاذ الانسان الى كل إمكانياته و قدراته و مواهبه و هذا التحقيق للذات ليس مقتصراً على حدود الذات فقط و إنما يشمل كل شيء حتى رغبة الانسان في الكشف عن الحقيقة و خلق الجمال و تحقيق النظام و تأكيد العدل فهذه غايات أصيلة و كامنة في أعماق الانسان

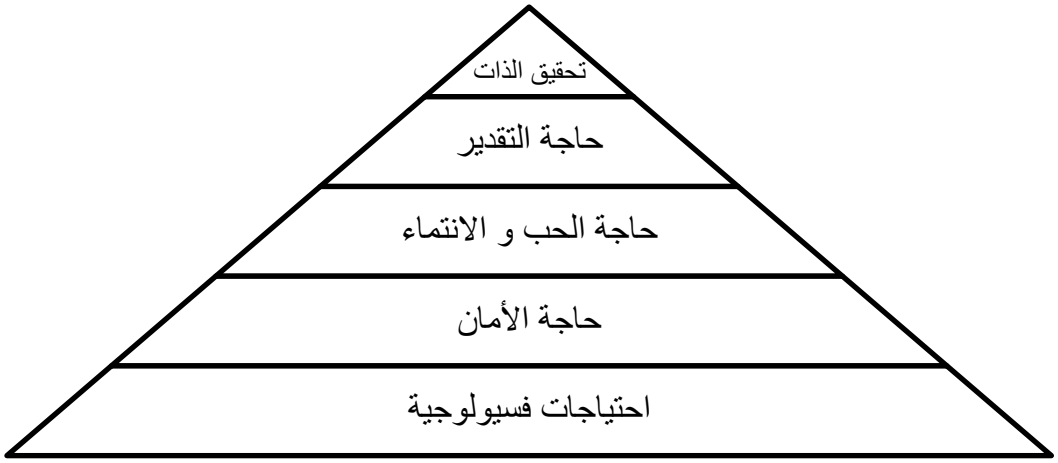

بمقارنة سريعة بين شبكة الوجود و العلاقات القائمة بين الموجودات و هرم الاحتياجات عند ماسلو يتضح أن ماسلو نظر الى احتياجات محدودة جداً و لا يمكن تأمينها و اشباعها بدون أن نعرف جميع الاحتياجات الأخرى ثم نرتبها حسب الأولويات، عندها سنجد فرقاً شاسعاً بين ترتيب ماسلو للاحتياجات و ترتيبنا لها حسب الرؤية الكونية الإلهية.

كما نتفق مع ماسلو و غيره من المفكرين في أن حاجة الانسان الأساسية هي الخروج من المحدوديات، بل إن كل الناس فضلاً عن المفكرين و العلماء يريدون التخلص من القيود و الحدود.

هناك من يرى أن اللذة هي طريق الخلاص من المحدوديات و هناك من يرى أن تأمين منافعه الشخصية هو طريق الخلاص!، مما يدعونا الى التساؤل: هل يمكن أن نتخلص من المحدوديات و القيود في عالم المادة؟ هل يوجد شيء مادّي يخلّصنا من القيود أم أن عالم المادّة

كله محدوديات، فالتشبث بأحد تلك القيود فضلا عن أنه لا يشبع احتياجاتنا فإنه يخلق لنا قيود و احتياجات جديدة؟!، نحن ندَّعي أن هدف الانسان خارج عن عالم المادة، و الدليل على ذلك هو فكر الانسان و روحه و قلبه حيث تتميز بقوى و إرادة غير محدودة، فالروح فعّالة لما تشاء، و القلب مُحب لكل ما ينسجم معه و مع ميوله! و لا توجد حدود لهذه المشاعر!، و الذهن و الفكر كذلك فعال لما يشاء و ليس له حدود، مما يشير الى أنّ المطلوب الواقعي للانسان غير محدود، فهدف الانسان هو الوصول الى ذلك اللامحدود و هو –في رؤيتنا الكونية الإلهية- الله سبحانه و تعالى، و ليس تحقيق الذات كما يرى ماسلو.

التوجيه والاستدلال الأخلاقي

وهو المبدأ التصديقي الثالث في معرفة النظام الأخلاقي الصحيح، فبعد أن نبين شبكة الوجود و يتضح لنا الملاك الواقعي الذي نبني عليه منظومتنا الأخلاقية فإننا إذا واجهنا عملاً مّا و أردنا الاستدلال على صحته أو عدم صحته علينا أن نُرجِعه الى المباني و الملاك التي قمنا ببناء نظامنا الأخلاقي على أساسهما وغالبا ما تكون المباني عبارة عن أصول فطرية و بديهية فإذا أثبتنا وجود علاقة بين العمل و تلك الأصول الأخلاقية أو الملاك فإننا نحكم بصحة العمل أما إذا عجزنا

عن إثبات علاقة بينهما فإننا نحكم بخطئه، و هذه هي الطريقة السائدة في الاستدلال الأخلاقي.

تقييم

١. عدِّد العناصر التي يجب معرفتها من أجل وضع قانون يصون السلوك الإنساني؟

٢. قارن بين النظام الأخلاقي في الرؤية الإسلامية و النظام الأخلاقي في الرؤية المادية.

الدرس الخامس: الأنظمة الأخلاقية غير التوصيفية

ذكرنا في الدرس الثاني أن الأنظمة الأخلاقية انقسمت الى قسمين؛ القسم الأول يرى أن الجمل الأخلاقية تصف الواقع فهي قد نشأت من الواقع الخارجي و سميت هذه الأنظمة تبعاً لذلك بالأنظمة التوصيفية لأن كلاً منها يدّعي أنّ نظامها الأخلاقي هو النظام الذي يوصّف لنا الواقع الخارجي.

أما القسم الثاني فإنه يرى بأن الجمل الأخلاقية ليس لها علاقة بالواقع بل تحتاج إلى من يجعل لها منشأ و ملاك و عُرفت هذه الأنظمة بالأنظمة الأخلاقية غير التوصيفية لأنها ليست في صدد توصيف الواقع و إنما هي تهدف الى وضع ملاك للنظام الأخلاقي. هنا سندرُس أهم الأنظمة الأخلاقية غير التوصيفية.

أهم النظريات التي أسّست الأنظمة غير التوصيفية هي:

١. نظرية الإنفعاليّة: حيث تجعل ملاك الأخلاق هو مشاعر الانسان وانفعالاته.

٢. نظرية التواضع الإجتماعي: ترى أن ملاك الأخلاق هو المجتمع و التوافق الاجتماعي

٣. نظرية الأمر الإلهي: ترى أن ملاك الأخلاق هو الأوامر الإلهيّة.

١/ نظرية الانفعالية

تبيين

هناك اتجاهان عند من يعتقد أن منشأ الأخلاق هو عبارة عن مشاعر الانسان، الاتجاه الأول يعتقد أن المفاهيم الأخلاقية تبين مشاعر الانسان الباطنية فقط و لم تنشأ من أي واقعية ولا معنى لها، فعندما يقال (الوفاء بالعهد حسن)، يعني أن القائل يستحسن و يحب الوفاء بالعهد. من أتباع هذه النظرية المفكر المعروف هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦م) الذي بنى نظريته على المذهب الحِسّي في المعرفة حيث يعتقد أن المعرفة الحقيقية هي المعرفة الحسّيّة فقط، أي التي حصلنا عليها من الواقع الخارجي و بما أن الجُمل الأخلاقية لا نحصل عليها بالحِس فإنها ترجع إلى المشاعر و الانفعالات النفسيّة و ليس إلى الواقعيات الخارجية.

الاتجاه الآخر يعتقد أن للجمل الأخلاقية معنى لكن معناها يختلف عن الجمل التي تخبر عن الواقعيات، فجملة (الوفاء بالعهد حسن) لا تريد أن تبيّن مشاعر القائل فقط وإنما هناك معنى إضافي وهو تشويق السامع وإثارته لإيجاد مشاعر مشابهه في نفسه أيضاً.

نقد

١. أننا نفهم معاني مختلفة باختلاف المفاهيم الأخلاقية، ونرتّب آثاراً عليها، فلا يمكن القول أن المفاهيم الأخلاقية لا معنى لها
٢. ليس لكل المفاهيم الأخلاقية إثارة مشاعرية مثل (ينبغي)، (لا يبغي)، (صح)، (خطأ)، فإنها فاقدة للإثارة المشاعرية، فعندما نقول: (احراق بيتك خطأ)، فإننا نبرز عقيدتنا و ليس مشاعرنا تجاه هذا العمل.
٣. ليس كل جملة تثير مشاعرنا فإنها تكون فاقدة لأي علاقة بالواقع أو أننا لا نتمكن من فهمها!

٢/ نظرية التواضع الاجتماعي

تبيين

القواعد الأخلاقية ليست صِرف مجموعة من المشاعر و الرغبات، الوصايا الفردية و الآداب و الأعراف و إنما هذه القواعد هي

عبارة عن توافق عام على السلوكيات الاجتماعية و ذلك من أجل حل التعارض الناشئ بين السلوكيات الاجتماعية، و هذا التواضع غير واقعي و من الممكن أن يحصل بأي صورة لكن العمل به يُصبّ في منفعة كل أفراد المجتمع. فيمكن توجيه و تبيين الأحكام الأخلاقية بالتوجه الى رعاية منافع أفراد المجتمع كافة.

كما أن التوافق في الأخلاق هو توافق ضمني و يحصل بشكل طبيعي على عكس الحقوق.

مؤسِّس هذه النظرية هو دوركيم المتخصص في علم الاجتماع (١٨٥٨-١٩١٩م) و تبتني على ركنين:

١. لا توجد أخلاق بدون مجتمع
٢. للمجتمع شخصية مستقلة عن الأفراد و له خواص و آثار خاصة به، منها الأخلاق[١].

نقد

١. هل الأخلاق تنحصر بالأخلاق الاجتماعية فقط؟ إذا قلنا بذلك فهذا يعني أن الانسان عندما يعيش وحيداً فلا معنى للحسن و

[١] يشبه المجتمع بالنسبة الى أفراده كالماء الذي يتركب من أكسحين و هيدروجين، إلا أنه بعد التركيب تصبح له هوية مستقلة و خصوصيات خاصة به.

القبح الأخلاقي! إن دائرة الأخلاق لا تنحصر بسلوك الانسان مع غيره من أفراد نوعه حيث أنّ بعض الأخلاق ترتبط بعلاقة الانسان بنفسه و بالله و بالطبيعة.

٢. إن التوافق قد يُستثمَر و لا يلتزِم به الكثير من الناس و ذلك عند عدم تساوي الكفاءات و الإمكانيات و القدرات بين أفراد المجتمع، لذلك قال بعض أنصار هذا الاتجاه أن التوافق لابد أن يتم في ستار الجهل أي عند تجاهل كل المميزات و الاختلافات، وواضح أن في هذا تضييع إلى إمكانيات الأفراد.

٣. المشكلة الأساسية عند دوركيم هي في المبنى الذي اعتمده في نظريته و هو أن للمجتمع هوية مستقلة عن أفراده و سيأتي موقع المجتمع في النظام الأخلاقي الإسلامي.

٣/ نظرية الأمر الإلهي

يعتقد الأشاعرة أن أوامر الله و نواهيه هي منشأ القِيَم و الإلزامات الأخلاقية، أي أن المعتبر هو أوامر الله فقط و على جميع المكلّفين الطاعة بغض النظر عن نتائج الأعمال، فلا يوجد فرق حقيقي بين العدل و الظلم، الصدق و الكذب، الوفاء بالعهد و نقضه، أي لا يوجد حسن و قبح ذاتي للأعمال! ما يأمر به الله حسن و ما ينهى عنه قبيح.

مباني النظرية

المبنى الوجودي الذي تبتني عليه النظرية هو (إنكار الحسن و القبح الذاتيين) و هذا يؤدي الى (إنكار الحسن و القبح العقليين) وهو مبنى معرفي –أي أن المباني المعرفية ترجع الى الرؤية الكونية أيضاً- يعني أن العقل لا يدرك الحسن و القبح لأنه لا يوجد حسن و قبح ذاتي أصلاً أي أن انتفاء الحسن و القبح العقليين يرجع الى انتفاء موضوعهما و هو الحسن و القبح الذاتيين.

نقد

لا شك في أن كل مكلف موظف بالتزام الأوامر و النواهي الإلهية و هذا هو هدف الأخلاق، و قد ذكرنا أن العقل لا يكفي في إدراك كل القِيَم الأخلاقية بل نحتاج الى الوحي الإلهي، إذن اتّباع الأحكام الإلهية هو عملٌ عُقلائي و لكننا نعتقد أن الأوامر و النواهي الإلهية تبتني على واقعيات موجودة و المراد من هذه الأوامر هو إيصالنا الى المقصد الحقيقي الواقعي، فالحسن و القبح أمران واقعيان -و هذا ما يسمى لدينا بالحسن و القبح الذاتيين في مقابل الحسن و القبح الإلهيين عند الأشاعرة- و لهما دور أساسي و حقيقي في سعادة الانسان و شقائه و قد جاءت الأوامر الإلهية لتقرّب الانسان الى سعادته و تبعِّده من الشقاء الحقيقي.

كما أنّ العقل يدرك بالإجمال حسن العدل، الصدق، أداء الأمانة و قبح الظلم، الكذب، خيانة الأمانة و غيرها مما يدل على الحسن و القبح العقليين في مقابل الحسن و القبح الشرعيين.

والإشكال الأهم أنه كيف نثبت أحكام الشرع بدون قبول العقل و مدركاته؟، فالجملة (ينبغي إطاعة حكم الله) لا يمكن أن نلتزم بها ما لم نثبتها عقلاً.

لوازم الاعتقاد بالنظام غير التوصيفي في الأخلاق

١. تصبح السلوكيات الأخلاقية لا تقبل الحكم عليها بالصدق أو الكذب، لأن الصدق يعني مطابقة الواقع و الكذب يعني عدم مطابقة الواقع، فإذا لم تكن للأحكام الأخلاقية علاقة بالواقع لا معنى للمطابقة بالتالي لا يمكن الاستدلال على الأخلاق أو توجيهها.
٢. عدم إمكانية النفي أو الإثبات لأن في الإثبات إشارة إلى صدق المسألة الأخلاقية و في النفي إشارة إلى كذب المسألة الأخلاقية بالتالي لا يمكن الدفاع عن الأخلاق.
٣. التعددية الأخلاقية بحيث تصبح مسألة أداء الأمانة حسنة عند شخص و قبيحة عند آخر، لأنها مسائل لا علاقة لها

بالواقع بالتالي يجب الالتزام بقبول كل الأنظمة الأخلاقية بنفس المقدار و لا أفضلية لنظام على آخر، و لا معنى للبحث في النظام الأخلاقي الأفضل بالتالي نقع في التساهل الأخلاقي.

٤. النسبية الأخلاقية أي لا يوجد حكم أخلاقي كلي ومطلق؛ بل في كل مجتمع أو لكل فرد أخلاقياته الخاصة مثلا عبارة (الحجاب حسن للنساء وغض البصر حسن للجنسين) هو حكم أخلاقي مقبول في مجتمع خاص في حين أنّ (الحجاب غير حسن للنساء وغض البصر غير حسن للجنسين) مقبول في مجتمع آخر.

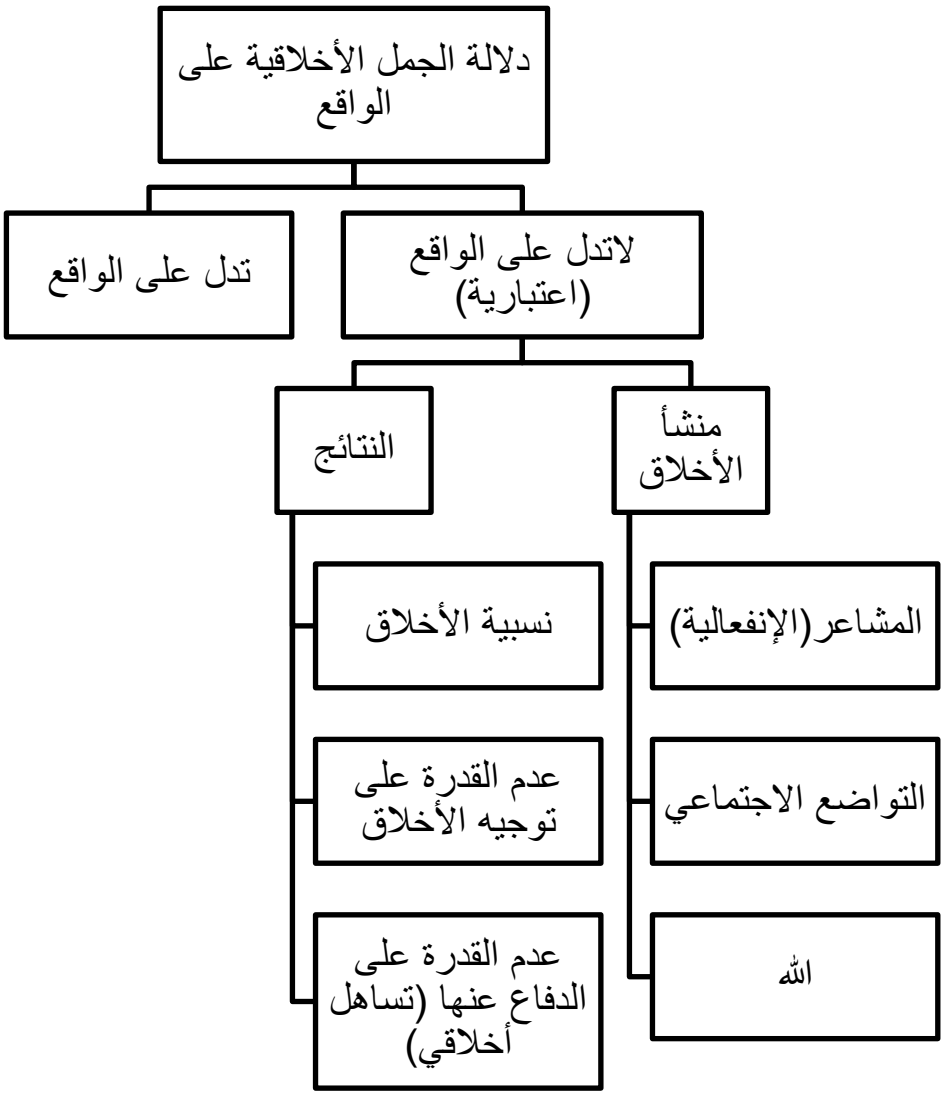

تقييم

١. أيّ العبارات التالي ليست واقعية:

أ- الفلزات تتمدد بالحرارة

ب- اللون الأبيض أفضل الألوان

ت- يجب على الطالب ارتداء اللباس الرسمي الخاص بالمدرسة

ث- لكي أصبح مُصمِّما محترفا يجب أن أواظب على التمرين والممارسة

٢. ما المقصود بالنظرية الإنفعالية؟

٣. انتقد النظرية التواضعية في الأخلاق.

٤. عدّد لوازم الأخلاق غير التوصيفية.

الدرس السادس: الأنظمة الأخلاقية التوصيفية

هناك من يعتقد بوجود حقائق في العالم تُوصَف بالحسن و القبح و الصح و الخطأ...، و هذه الحقائق مستقلة عن ميول الأفراد و المجتمع و أذواقهم و معارفهم و اعتقاداتهم. بل ليست موضوعة من الله بشكل منفصل عن التكوين. و قد ظهرت عدة اتجاهات بسبب الاختلاف في المبادئ التصورية و التصديقية مثل الاختلاف في الإجابة عن الأسئلة: ما هي الواقعية التي تحكيها الجُمل الأخلاقية؟ هل يمكننا معرفة تلك الواقعيات؟ كيف يمكن معرفتها و هل هي موجَّهَة؟ ، و ظهرت عدة نظريات في كل اتجاه، فأصبحت أساساً لأنظمة توصيفية مختلفة.

يمكن أن نجمع النظريات في ثلاثة اتجاهات أخلاقيّة بناء على منشأ الأخلاق وعلاقتها بالواقع:

١.الأخلاق الطبيعية

اتجه البعض الى أن الأخلاق هي في الواقع بيانٌ آخر لنفس الواقعيات المكتَشَفة بالتجربة و الحِسّ و بناءً على ذلك يمكن تعريف الحكم (ينبغي) على أساس ما هو موجود، و تعريف القيمة على أساس

الواقعية، فعندما يقال (صدام رجل شرير)، فإن الطبيعي يُثبِت أن أعمال صدام كانت لها نتائج تتصف بالشر.

و بما أن الانسان النفعي يبين الحسن و القبح على أساس المنفعة فإنه يُعتبر من أتباع الأخلاق الطبيعية، فالحسن عنده هو كل عمل فيه منفعة أكثر، و القبح هو كل عمل فيه منفعة أقل لعامة الناس، فعندما يقال: (ينبغي الوفاء بالعهد) يدرك منها أنّ الوفاء بالعهد ينطبق مع أصل المنفعة. إذن الانسان النفعي يعتقد بوجود علاقة بين الواقعيات الأخلاقية و غاياتها التي هي عبارة عن واقعيات أيضاً لكنها واقعيات نفسانية غير أخلاقية –عندنا- كالمنفعة و اللذة و القدرة.

٢.الأخلاق الشهودية (الأخلاق غير القابلة للتعريف)

اتجه الشهوديون إلى أن المفاهيم الأساسية في الأخلاق مثل الحسن و القبح بسيطة و غير قابلة للتعريف، و أن الأخلاق حقائق عينيّة كما أنّ أصولها بديهية و شهودية؛ فالأحكام الأخلاقية تبتني على واقعيات و تحكي عن أوصاف واقعية للأشياء كما أن الجمل الأخلاقية تحتمل الصدق و الكذب لكنها غير قابلة للإثبات، إذ لا يوجد علاقة بين الواقعيات الأخلاقية وغير الأخلاقية- الواقعيات النفسانية التي عُدّت معايير للأخلاق في بعض الأنظمة الأخلاقيّة -، فلا يمكننا تبيين الواقعيات الأخلاقية بواقعيات أخرى كالمنفعة و اللذة و القدرة.

يعتقد الشهوديون أنه لا يمكن تعريف المفاهيم الأخلاقية كالحُسن والقُبح و ذلك لبساطتها، و لأنها مفاهيم شهودية و المعرفة الشهودية لا تحتاج الى استدلال، كما يعتقدون بأن الحسن و القبح حقائق عينية واقعية مستقلة عن إرادة الانسان و حتى عن إرادة الله التشريعية، فعندما يقال (القتل قبيح) فإن هذا العمل هو في الواقع قبيح، بغض النظر عن رغبات الانسان و إرادته، إلا أنه يمكن للانسان إدراك قبح هذا العمل بالشهود و لا يمكن إثباته بجُمل غير أخلاقية.

نقد

١. إذا كانت الأصول الأخلاقية بديهية ولا تحتاج إلى استدلال فلماذا لا يوجد توافق كلي عليها حتى بين أصحاب الاتجاه الشهودي؟
٢. الفصل بين الواقعيات الأخلاقية و غيرها من الواقعيات يرجع إلى رؤية كونية غير صحيحة و ذلك لأن جميع الواقعيات مترابطة و تبيّن بعضها بعضاً.

٣.الأخلاق الميتافيزيقية (مابعد الطبيعية)

و هو الاتجاه المختار ، و الذي يتوافق مع المبادئ التي ذكرناها في الدروس الأربعة الأولى و سوف نشير إليها باختصار:

إن الحكم في كل الجُمل الأخلاقية هو أحد الكلمات التالية: (حسن)، (قبيح)، (صحيح)، (خطأ)، (ينبغي)، (لا ينبغي)، (وظيفة)، أو تستعمل ألفاظ ترادف هذه الألفاظ السبعة. أما موضوع الجملة الأخلاقية فإما أن يكون صفة اكتسابية أو سلوك اختياري.

فالجملة الأخلاقية هي الجملة التي موضوعها فعل أو وصف اختياريين للانسان و محمولها (الحكم) أحد المفاهيم السبعة المذكورة أو كلمة تبين أحد تلك المفاهيم.

أهم مسألة هنا هو تحليل هذه المفاهيم السبعة و تعريفها، و هنا لابد من ذكر مقدمة في كيفية اكتشاف الذهن الانساني للمفاهيم.

إنّ المفاهيم على ثلاثة أقسام -بناءً على منشأ تلك المفاهيم-، إما أن تكون مفاهيم أولية و هي التي تنشأ من الارتباط بالواقعيات مباشرة أي كما يعبرون أن لها ما يوازيها في الخارج، أو ثانوية؛ و المفاهيم الثانوية هي مفاهيم انتزاعيه تنشأ بالمقارنة، فإذا كانت المقارنة بين مجموعة من المفاهيم الأولية في الذهن، تسمى المفاهيم الناتجة من المقارنة بالمفاهيم الثانوية المنطقية، و إذا كانت المقارنة بين واقعيتين خارجيتين، تسمى المفاهيم المكتشفة من المقارنة بالمفاهيم الفلسفية، فالمفاهيم الثانوية إما أن تكون منطقية أو فلسفية.

إنّ المفاهيم الأخلاقية (كالحسن) و(القبح) و(ينبغي) و(لاينبغي) تُكتشف من المقارنة بين الواقعيات الخارجية في العالم الخارجي، وهي الفعل و الغاية منه -الهدف منه- و هما أمران واقعيان و بذلك تُعتبر المفاهيم الأخلاقية من المفاهيم الثانوية الفلسفية. إذن للأخلاق أهداف و لو افترضنا أن الهدف من الأخلاق هو كمال الانسان، يمكن القول أنّ هناك علاقة واقعية بين أعمال الانسان و كماله الحقيقي و هذه العلاقة هي علاقة العلية و المعلولية بمعنى أن الأعمال تؤثر على تكامل الانسان تأثيراً تكوينياً و حقيقياً لأن هناك ارتباط عيني و واقعي بين أعمال الانسان و سلوكه و بين تحوله الوجودي، فعندما نحكم على العمل بأحد الأحكام السبعة المذكورة فهذا يعني أننا نشير الى العلاقة الحقيقية بين العمل و الهدف الأخلاقي، و بما أن هذا الهدف المطلوب –الكمال و القرب الإلهي- هو هدف يتجاوز عالم الطبيعة الى عالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا)، تسمى الأنظمة الأخلاقية التي تتبنى هذا الاتجاه بالأنظمة الأخلاقية الميتافيزيقية.

لوازم الواقعية في الأخلاق

١. قابلية الحكم على المسائل الأخلاقية بالصدق أو الكذب ، فالصدق ما طابق الواقع و الكذب ما خالف الواقع بالتالي يمكن توجيه المسائل الأخلاقية و الاستدلال على صدقها أو عدمه.

٢. إمكانية التوافق في كثير من المسائل الأخلاقية مما يؤدي الى استحكام و ثبات المباني الأخلاقية و وحدتها

٣. إطلاق الأخلاق و عدم نسبيتها

تقييم

١. عرّف الجملة الأخلاقيّة.

٢. هل تعتقد أن النظريات الأخلاقية الواقعية أي التوصيفية هي التي يمكن تقييمها دون غيرها؟ و لماذا؟

٣. ما المقصود بالأخلاق الطبيعية؟

٤. ما المراد بالواقعية في الأخلاق الإسلامية؟

٥. ما العلاقة بين تجسم الأعمال و الأخلاق و واقعية الأخلاق؟

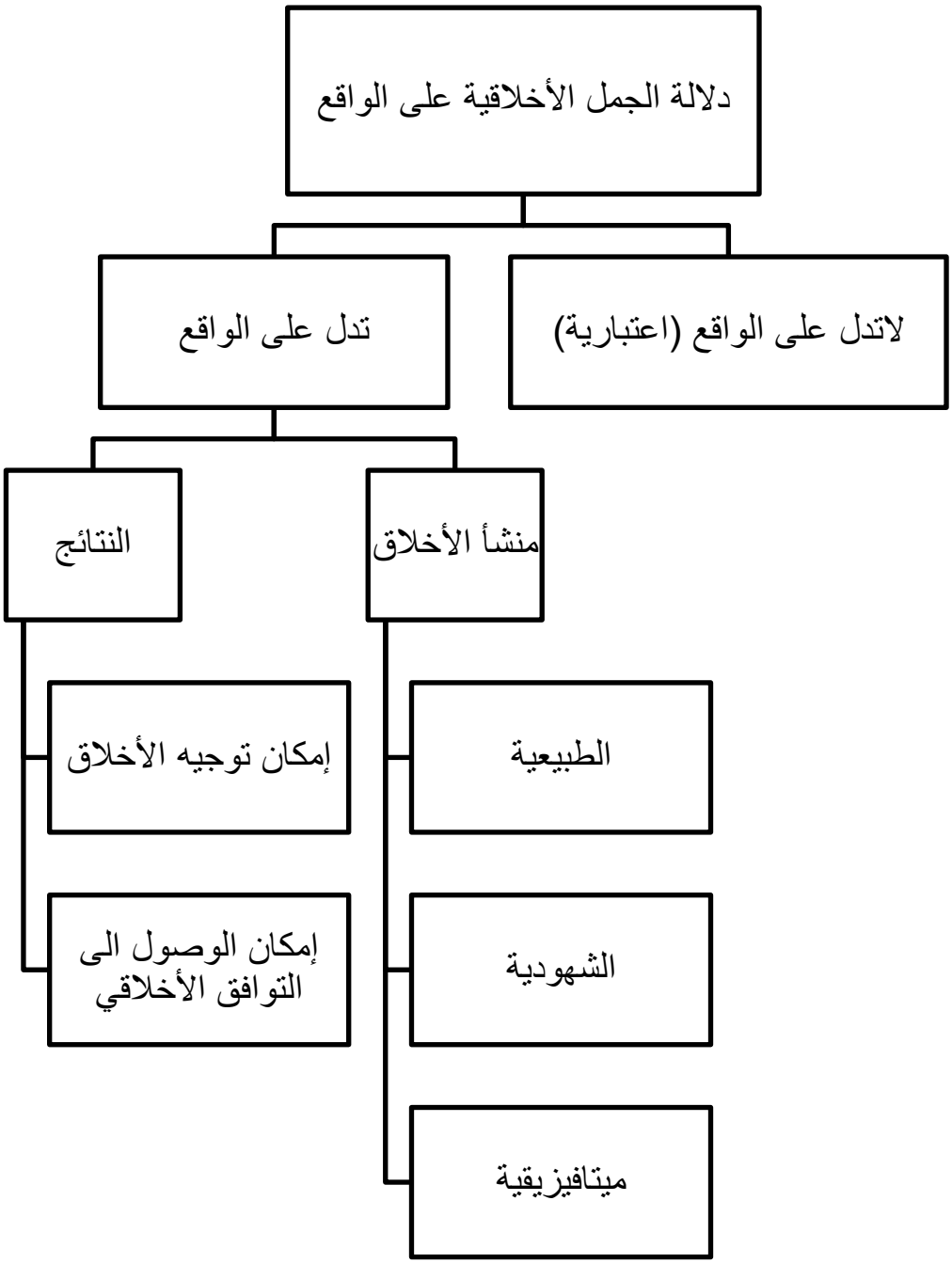
دلالة الجمل الأخلاقية على الواقع
لاتدل على الواقع (اعتبارية)
تدل على الواقع
منشأ الأخلاق
النتائج
الطبيعية
الشهودية
ميتافيزيقية
إمكان توجيه الأخلاق
إمكان الوصول الى التوافق الأخلاقي

الدرس السابع: نظريات في الأنظمة الأخلاقية

التوصيفية (١)

ملاك الأخلاق الصحيحة

ما هو الملاك الصحيح الذي نبني على أساسه نظامنا الأخلاقي؟

ذكرت هنا ثلاثة اتجاهات و بناء على الاختلاف في الاتجاه اختلفوا في ملاك النظام الأخلاقي، فقال البعض أن الملاك هو الغاية و بالتالي ملاك تقييم العمل هو نتيجته و غايته، و قال آخرون أن الملاك هو الوظيفة و ملاك تقييم العمل هو العمل نفسه، و الاتجاه الثالث يرى أن ملاك الأخلاق هو الفضيلة و يجعل ملاك تقييم العمل هو الانسان الذي صدر منه هذا العمل يعني الأساس في التقييم هو حالات الفاعل الباطنية و الروحية ؛ فإن كان صاحب العمل صفات فاضلة مستحسنة فالعمل حسن و بذلك يهتم هذا الاتجاه بحسن الفاعل بالإضافة الى حسن الفعل. يمكن تصنيف الأنظمة أخلاقية بناء على هذه الملاكات الثلاثة الى ثلاثة أصناف.

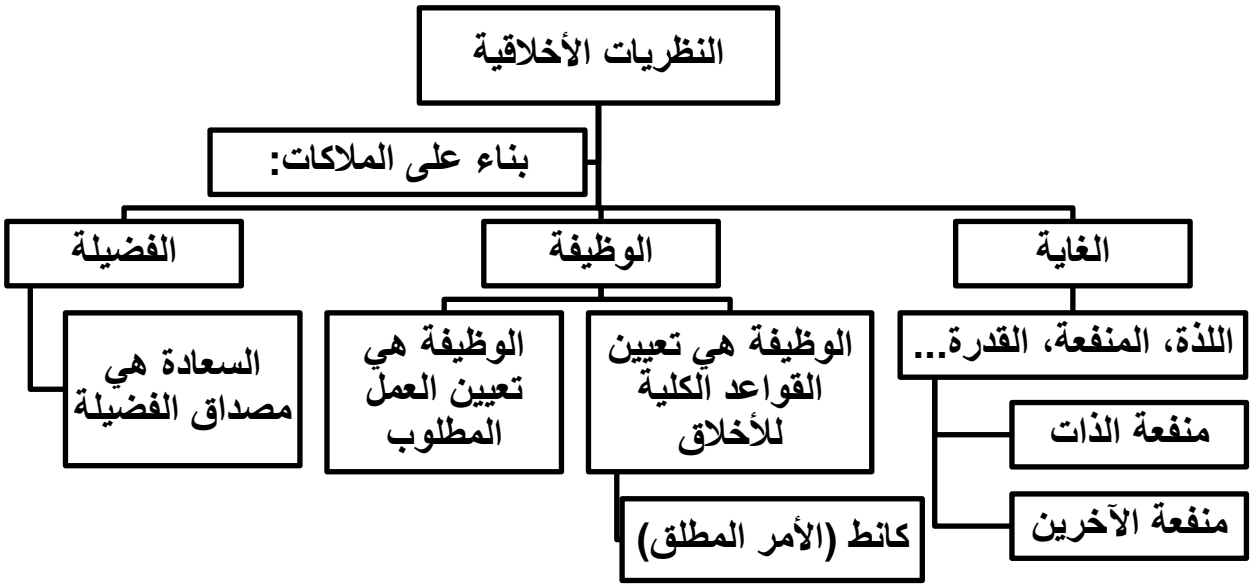

كما اختلفوا أيضا في تعيين مصاديق الغاية و الوظيفة و الفضيلة، سندرس ست من هذه النظريات المختلفة:

١/ النظريات الغائية

هناك نظريات تعتقد أن الملاك النهائي للإلزام والقيم الأخلاقية يتعين بنتيجة العمل.

تعيين القيم الأخلاقية يرتبط بقيمة أمور واقعية وغير أخلاقية؛ مثل اللذة، المنفعة، القدرة، الكمال...

أهم النظريات الغائية

١/ اللَّذة الشخصية

يقول أصحاب هذه النظرية أنه ينبغي على كل انسان أن يستمع الى نداء طبيعته الانسانية ليعرف ماهو الحسن و ما هو القبيح، فكل عمل يلائم طبيعتنا الانسانية و يوجب اللذة فإنه خير و حسن و كل عمل لا يلائمنا بل يوجب الألم و التعب فإنه شر و قبيح. و يراد باللذة هنا تلك اللذات العاجلة الفردية.

مباني النظرية

تبتني هذه النظرية و النظرية التالية على الرؤية الكونية المادية الطبيعية و على جعل الفرد هو محور عالم المادة و بالتالي يتم مقايسة الخير و الشر و السعادة و الشقاء بناء على رغبات الفرد فقط.

نقد

من الواضح أن اللذة الفردية العاجلة تفتح أبواب احتياجات أخرى للانسان هو في غنى عنها، وقد تُوقعه في مضار كثيرة، و بالتالي فإنها لا تُوصله الى الإشباع المطلوب، كما أننا لا يمكننا تقديم اللذات الشخصية على منافع الآخرين دائما، فلا يمكن جعلها ملاكاً نعتمد عليه في بناء النظام الأخلاقي. فالانسان يعيش ضمن حياة اجتماعية و

يحتاج الى إقامة علاقات اجتماعية مع أفراد نوعه، فجعل اللذة الشخصية ملاكاً للنظام الأخلاقي يجعل هذا النظام غير ملائم للانسان في بُعدِه الاجتماعي، و كذلك علاقة الانسان بالطبيعة من حوله كالحيوانات و النباتات و غيرها، فهذا النظام لو سلَّمنا بصحته إلا أنه غير تامّ.

٢/ اللَّذة الأطول

جاء أبيكور فقال أن اللذة العاجلة لا تكفي لإقامة نظام أخلاقي بل علينا أن نقوم بمحاسبات عقلية، فنحسب المنفعة و الضرر لتلك اللذات و نقدّم اللذات الشخصية النافعة و الأكثر دواماً حتى لا نبتلي باحتياجات و قيود إضافية.

ثم صنّف اللذات الى ثلاثة أصناف:

١. لذات طبيعية ضرورية و هي التي تقتضيها الطبيعة الانسانية مثل لذة الأكل و الشرب، و بما أن لهذه اللذات أثر مباشر على حياة الانسان و على حصوله على لذّات أرفع فإن طلب هذه اللذات أمر مستحسن و تركها قبيح.
٢. لذات طبيعية غير ضرورية: يطلبها الانسان بشكل طبيعي لكنها ليست ضرورية، مثل لذّة أكل الطعام اللّذيذ، و لبس

الملابس باهضة الثمن، ففي هذه اللذات يُعتبر الإفراط و التفريط مُضِر و قبيح أما الاعتدال في طلبها فإنه خيّر و حسن.

٣. لذات غير طبيعية و غير ضرورية: مثل لذة الجاه ، المقام، و الشهرة... حيث أنها مُضرّة بالانسان و ليست من طبيعته فينبغي تركها.

نقد

١. جعل أبيكور ملاك اختيار اللذات في مدى تأثيرها و طول مدة التأثير فقط، في حين أن الانسان عندما يقارن بين اللذات ينبغي أن يرتبها حسب الأولويات، حتى من حيث الكيفية و الشدة فربما توجد لذة مدتها قصيرة لكن تأثيرها أشد.

٢. يجب ملاحظة البقاء والأبدية، فالانسان يطلب البقاء و يفِر من الفقد، فلا يكفي طول المدة في ترتيب الأولويّات.

٣. أيضا نظرية أبيكور لا تنفعنا في إقامة مجتمع، حيث أنها قاصرة عن تأمين ما نحتاجه في علاقاتنا الاجتماعية.

٣/ المنفعة العامة

ذكرنا أن الملاك هو النتيجة الحاصلة من السلوك ، و أشهر القِيَم التي تؤثر على تقييم الأحكام الأخلاقية هي المنفعة و أغلب من يرى أن المنفعة هي ملاك القِيَم الأخلاقية يقصد بالمنفعة أي اللذة بالإضافة الى المحاسبات الأخلاقية و منفعة المجتمع.

يعتقد جان استوارت ميل -مثل سابقه أبيكور -و هو أحد أنصار هذه النظرية أن اللذات لها أنواع و مراتب مختلفة و أن اللذة الأكبر هي اللذة العقلانية فيجب ترجيحها على اللذّات الأقل و هي اللذات الجسمانية، لكنه يعتقد أن القيمة الذاتية هي اللذة و هي الخير -في مقابل الألم و هو الشر-، لكنه يرى أن مشكلة نظرية أبيكور في أنها تتجاهل المجتمع فقام بتعديل نظريته بإضافة المنفعة الاجتماعية الى الملاك في بناء النظام الأخلاقي، مما أدى إلى تغيُّر مهم في معنى اللذة!.

فالمنفعة العامة تبتني على أن ملاك القِيَم الأخلاقية منحصر بالمنفعة العامة أي كل عمل يؤدي الى اللذة لعموم الناس فإنه حسن وصحيح، وكل عمل يؤدي الى الألم لعموم الناس فإنه قبيح و خاطئ.

مباني النظرية

تبتني هذه النظرية على الرؤية الكونية المادية الطبيعية و على جعل الانسان هو محور عالم المادة، و بالتالي يتم مقايسة الخير و الشر و السعادة و الشقاء بناءً على رغبات الانسان.

نقد

لا شك أن اللذة و السعادة مطلوبة عند الجميع، و بالتالي فإن أي نظرية لا يمكن قبولها إلا إذا قرّرت لنا المنابع التي تُحقِّق لنا اللذة و السعادة.

لكننا نعتقد أن للأشياء قيمة في ذاتها مستقلة عن ذاتنا و إرادتنا و لذَّاتنا فتقييم الأعمال لا يرجع الى صرف ما تنتجه لنا من لذّة.

هناك إشكال آخر يرجع الى الرؤية الكونية غير التامة لدى أنصار المدرسة النفعية، وهو أن العالم لا ينحصر بعالم المادة، وبالتالي فإن هناك لذّات ترتبط بعوالم أخرى و هي من حيث الخلوص و الدوام و الكيفية أشد من اللذات الحسية المادية في حين أن أكثر النفعيين يقيِّمون الأعمال و السلوكيات بناء على رؤيتهم المادية و يفهمون الخير و الشر في هذا العالم فقط.

كما تختلف المدرسة الأخلاقية الإسلامية عن المدرسة النفعية في المحور و الأصل الذي تقيّم به الأعمال حيث ترى المدرسة الإسلامية أن الأصل في الرؤية الكونية هو الله الواحد، و تقييم الأعمال يرجع الى قربها و بعدها من هذا الأصل التوحيدي في حين تجعل المدرسة النفعية الأصالة للفرد أو للانسان و لذّاته أو للمنفعة الاجتماعية العامة.

متعلّق المنفعة: الذّات أو الآخرين

الغاية من الأخلاق هل هي الحفاظ على منافع الذات أو الحفاظ على منافع الآخرين؟

هناك من يعتقد أن غاية الأخلاق هي تأمين منفعة الذّات و ذلك لأن الانسان مُحب لذاته بالفطرة، فالميل الوحيد الحاكم على كل السلوكيات هو حب الذات، و سلوك الانسان يطابق منافعه و رغباته الشخصية، كما أن الانسان في كل سلوكياته متأثر بميل قوي فطري لديه هو حبّ الذات، و الذي يسلب منه القدرة على اختيار السلوك الذي ينفع الآخرين. فلا ينبغي أن نوصي الانسان بالاهتمام بمنفعة الغير لأنها خلاف الفطرة الانسانية. إذن فالأخلاق التي لا تنسجم مع حب الذات الفطري فإنها أخلاق غير صحيحة.

في حين يعتقد آخرون أن الأنظمة الأخلاقية توصي بالحفاظ على منافع الغير فيقال مثلاً: (لا تكذب حتى و إن كنت ستتضرر)، (أنفق من مالك من أجل رفاهية المحتاجين)، إن الأنظمة الأخلاقية تطالبنا بالعفو و الإيثار و التضحية و هذا هو المطلوب من الانسان.

نقد

ناقش البعض نظرية منفعة الذات بأن حب الذات ليس هو الميل الوحيد الذي يؤثّر على سلوك الانسان، فهناك العاطفة و حب إرضاء الذات الذي يدعو الانسان لمساعدة الآخرين، و هناك حب التضحية و غيرها من الميول الفطرية أيضاً. لكن يمكن الإجابة على هذه المناقشة بأن كل هذه الميول ترجع الى حب الذات أيضاً، فحب إرضاء الذات يرجع الى حب الذات!

إلا أن الملاحظة الأساسية على هذه النظرية هي في أصل ملاك التقييم للأخلاق، فإن التلذُّذ بشرب الماء مثلاً عند العطش، لا ترجع هذه اللذة –في الواقع- إلى الماء ذاته و إنما لأننا أشبعنا حاجةً لدينا، فاللذة لا ترجع الى العمل و إنما ترجع الى إرضاء و إشباع احتياجاتنا الباطنية.

كما أن منفعة الذات لا تصلح للتأسيس الى الحياة الأُسَريّة أو الاجتماعية، فكثيراً ما يقع التعارض و التزاحم بين أعمال أفراد الأسرة

أو المجتمع، فإذا أرادت امرأة –مثلاً- اسقاط جنينها و ترى أن منفعتها في ذلك، في حين يرى الزوج أن خيره في أن يبقى الجنين على قيد الحياة، و كلاهما يعتقد بأن الأخلاق تابعة للمنفعة الذاتية، فكيف سوف يحكم الحاكم بينهما؟ إذن حتى لو سلّمنا بصحة نظرية منفعة الذات إلا أنها غير قابلة للإجراء عملياً.

كما أن هناك فرق بين حب الذات و كمالاتها و الأنانية المنهي عنها في كل الأديان و التي لا تنسجم مع الفطرة الإنسانية، فالانسان مفطور على حب الذات لكنه ليس مفطوراً على الأنانية. و هذا ما لم تلتفت إليه بعض مدارس التنمية البشرية مثل البرمجة اللغوية العصبية حيث تقوم الأحكام الأخلاقيّة فيها على أساس حبّ الذات و النفخ في هذه الذات حتى يشعر صاحبها أنه هو الأصل في التقييم الأخلاقي في حين أنّ الأصل في الوجود هو وحدانية الله و فقر الذات لله، و هذا ما نشعر به بالفطرة، إنّ حب الذات الفطري يشير إلى حقيقة هذه الذات التوحيدية (أشهدهم على أنفسهم أ لستُ بربكم قالوا بلى) المربي و المدبّر ليس هو الذات بل هو خالق الذات و في الواقع حب الذات في حقيقته هو حب خالق هذه الذات!، يجب أن ندرك حب الذات الفطري على أساس الإيمان بخلق هذه الذّات، لا أن ندركه بنحوٍ منفصِل عن هذه الحقيقة التوحيدية.

تقييم

١. أجب عن الأسئلة التالية بناءً على الاتجاهين الأخلاقيين: اللّذة الشخصيّة، المنفعة العامة:

أ- كيف ينظر هذين الاتجاهين الى السعادة؟

ب- كيف يثبتان رأيهما في السعادة؟

ت- ما رأيهما في العلاقة بين الأنانية و رغبات المجتمع؟

٢. ما المشكلة التي يواجهها أنصار اللذة الشخصية في محاسبة القيم على أساس اللذة و الألم؟

٣. لماذا أكد بعض النفعيين على ضرورة الانتباه الى النفع العام أيضاً؟

٤. ما هي المشكلة الأساسية التي نواجهها مع دورات البرمجة اللغوية العصبيّة و أمثالها؟

الدرس الثامن: نظريات في الأنظمة الأخلاقية

التوصيفية (٢)

٢/ نظرية الوظيفة

أي أن القيمة الأخلاقية ليست عملاً تابعاً لنتائجه في الخارج و إنما يتعين العمل بشكل مستقل و بناء على ملاحظات ترتبط بالعمل نفسه أو مطابقته مع أصل أخلاقي كلي أو قاعدة أخلاقية كلية.

طُرح اتجاهان في هذه النظرية بناء على وجود قواعد أخلاقية كلية يبتني عليها السلوك أو عدم وجودها:

الاتجاه الأول: الوظيفة العملية (البراجماتية)

قيل أنه لا توجد قواعد كلية أخلاقية و ذلك لأن تشخيص الوظيفة يتغير بتغير الوضع و المكان و الزمان، فلا يمكن وضع قواعد كلية ثابتة. و الأساس في الأخلاق هو الفائدة التي تعود على الشخص، أي أنّ العمل المفيد حسنٌ و العمل غير المفيد قبيح.

نقد

١. لا يتكون نظام أخلاقي بدون قواعد كلية مشتركة بين جميع الأخلاقيات كما ذكرنا في تعريف النظام الأخلاقي في الدرس الأول.

٢. كما أننا بدون قواعد كلية ثابتة لا يمكننا تقييم الأعمال و ترجيح بعضها على البعض الآخر.

الاتجاه الثاني: الوظيفة المبنائية

أن هناك قواعد كلية تُعتبَر مبنى النظام الأخلاقي و هي المعيار في تعيين الحسن و القبح و الصحيح و الخاطئ من الأعمال و السلوكيات. و هنا يأتي سؤالان:

س١: كيف نحصل على القواعد الكلية الأخلاقية؟

س٢: ما هو الموقف العملي في حال تزاحم هذه القواعد و تعارضها؟

ظهرت نظريات مختلفة باختلاف إجابتها على هذين السؤالين، و منها: نظرية كانط التي عُرفت بنظرية الأمر المطلق – تنتمي نظرية كانط إلى المدارس التوصيفية- و نظرية الأشاعرة التي عُرفت بنظرية الأمر

الإلهي – تنتمي نظرية الأشاعرة الى المدارس غير التوصيفية- و قد مرّت في الدروس السابقة.

نظرية الأمر المطلق

و هي نظرية الفيلسوف ايمانوئل كانْط و الذي يرى أن للعمل الأخلاقي ركنان: الأول أن يكون العمل اختيارياً و يطابق قانون العقل، و الركن الثاني أن يقوم به الانسان بنيّة أداء التكليف و احترام القوانين الأخلاقية، و هذا هو ما يميز نظرية كانط حيث يعتقد أنه لا يوجد شيء حسن في العالم من الممكن أن يفكر به الانسان بشكل مطلق عن كل قيد و شرط و يستحسنه إلا النيّة الحسنة. و حُسن النية حُسن ذاتي، ليس له علاقة بالنتائج أو الآثار.

كما أنّ التكليف يتعين بواسطة العقل، فلو كان الانسان موجوداً عاقلاً فقط فإنه سوف يتبع قوانين العقل دائما لكنه ليس كذلك لوجود مشاعره و ميوله التي تجعله ينحرف أخلاقياً. فالانسان مُوظّف بالالتزام بالأخلاق التي يمليها عليه عقله ، فالعقل هو منشأ القواعد الكلية الأخلاقية. لكن كيف نعرف الوظائف الأخلاقية و نميز بين حسنُها من قبيحها؟ يجيبنا كانط بالرجوع الى امتحان قابلية التعميم، يقول لنا كانط ارجع الى وجدانك و اعرض العمل عليه فإن رغبت به بدون أي تناقض أو تأمل، فإنه حسن و إن لم ينجح العمل في هذا

الامتحان فإنه قبيح، و هذا ما يجعل القانون مطلقاً، فيشمل كل الناس في كل الأزمنة و الأمكنة و الظروف و من هنا أطلق كانط عنوان (الأمر المطلق) على نظريته.

يقول كانط: اعمل و كأن عملك الذي يمثل مرآة إرادتك هو أحد القوانين الكلية للطبيعة[1].

إن شرط قصد أداء التكليف في العمل الأخلاقي يؤدي الى القول بأن الأم التي تضحي من أجل طفلها من باب العاطفة فإن عملها لا يوصف بالأخلاقي لأنها لم تقم بهذا العمل بنيّة أداء التكليف!،كما أن الصدق لازم في كل الشروط حتى لو أدى الى قتل مظلوم!.

مباني النظرية

تبتني نظرية كانط على مبنى معرفي و هو أن الجمل على نوعين متباينين النوع الأول جمل تبين الواقع العيني، و النوع الثاني هي جمل ترتبط بالعمل و الأحكام و تحكي عن الحسن و القبح و ما ينبغي و ما لا ينبغي.

و لا يمكن استنتاج الأحكام القيمية من الجمل التي تخبر عن الواقعيات أو العكس بل يمكن استنتاج بعض الجُمل التي تخبر عن

[1] مصباح، مجتبى، فلسفه اخلاق، ص٩٤.

الواقعيات من جُمل أخرى تخبر عن الواقعيات، كما يمكن استنتاج بعض الجُمل التي تخبر عن الأحكام القيَمية من جمل أخرى تخبر عن الأحكام القيَمية.

وهناك جُمل بديهية سواء تلك الناظرة الى الواقع أو الحاكية عن القِيَم و بذلك فإن تقييم الأفعال يتم بإرجاعها الى تلك الأحكام البديهية عند العقل.

إذن معيار تقييم الأفعال لابد أن يكون من سنخها أي من سنخ التكليف و القيم إلا أن هذه القيم البديهية عامة عند جميع الناس، يمكن أن نتلمسها بالوجدان و بذلك تكتسب نحو من الواقع و التقرر فهي ليست اعتبارية، لكن لا يمكننا الرجوع في تقييم الأفعال الى الواقعيات العينية لأن سنخ الواقعيات العينية يختلف عن القيم و ليس لها صلاحية المعيارية بالنسبة إليها.

نقد

١. هذه النظرية غير قابلة للتعميم، حيث أن هناك استثناءات عند التزاحم كما اتضح من الأمثلة أعلاه
٢. لقد ألغى كانط دور الميول و الرغبات في الأخلاق كما ألغى المنافع الفردية و الاجتماعية، الدنيوية و الأخروية! و سيأتي بيان دور هذه العناصر في النظام الأخلاقي الإسلامي.

٣/ نظرية السعادة و الفضيلة

نظرية السعادة و الفضيلة هي نظرية سقراط و أفلاطون و أرسطو مع اختلافهم في تعريف السعادة مما أدى الى اختلافهم في تعيين الفضيلة.

نظرية سقراط

يرى سقراط أن السعادة هي المطلوب النهائي للانسان لكن نسبت له عدة تعريفات للسعادة منها: أن السعادة هي اللذة، أو إرضاء الميول و الرغبات، أو تكميل الطبيعة و القوى الانسانية سواء كانت النفسانية أو الجسمانية.

و لا يمكن الحصول على السعادة إلا بالفضيلة، فالفضيلة هي حالة ثابتة في الشخص تُوجِب أن يختار طريقة سلوك مُعيّنة عندما يتعرّض لظروف خاصة. يرى سقراط أن الفضيلة شرط لازم و كافٍ للسعادة و يذكر للفضيلة خصوصيات منها:

١. أن الفضيلة حسنة و نافعة دائماً، إذن كل عمل قد يؤدي أحياناً إلى نتائج غير مطلوبة، فإنه ليس من الفضائل كالتهور مثلاً!، في حين أن الشجاعة تعدّ من الفضائل.

٢. المعرفة شرط لازم للفضيلة، بدون المعرفة لا يمكن للانسان أن يختار الخيار الأفضل و الأحسن.

٣. كل الفضائل ترجع الى فضيلة واحدة

٤. الفضائل الأخلاقية ثابتة لا تتغير.

نقد

انتقد كلا من أفلاطون و أرسطو نظرية سقراط بعدة انتقادات أهمها أن العلم لا يكفي لتحصيل الفضائل بل هناك ميول و رغبات عند الانسان تؤثر على اختياره، فالإرادة عندما تكون ضعيفة أو قوية تؤثر على اختيار الانسان و قراراته حتى لو كان عنده علم بأفضل الأعمال و أحسنها.

نظرية أفلاطون

أما أفلاطون فإنه عدّل من نظرية سقراط حيث عرّف السعادة بأنها انسجام كل قوى النفس مع بعضها البعض و بذلك نحصل على الفضيلة الواحدة التي ذكرها سقراط؛ يعني إما أن تعّدل كل القوى فنحصل على الفضيلة أو تختل إحداها فلا نحصل على شيء من الفضيلة لأن الفضيلة هي أمر واحد فقط، فالانسان إما فاضل و هو حسن و إما أن يخسر الفضيلة فهو قبيح ولا يوجد حد أوسط.

نقد

انتقد أرسطو رأي أفلاطون بقوله أن ملاك الحسن و القبح ليس انسجام كل القوى، فقد يكون الانسان حسن في بعض الجهات و قبيح في جهات أخرى، فالفضيلة ليست واحدة و إنما لكل قوة ما يناسبها من الفضائل، فطرح نظريته المعروفة بنظرية الاعتدال الذهبي.

نظرية أرسطو

يؤكد أرسطو على الفاعل، يقول انظروا الى انسان تعجبكم أخلاقه و اسألوا أنفسكم لماذا استحسنتم سلوكه؟ الجواب لأنه يتميز بمجموعة من الفضائل التي أدت الى ترجيحه و تفضيله على الغير، إننا نظرنا الى صفات الفاعل النفسانية، فالسلوك الحسن هو السلوك الصادر من فاعل فاضل و هذا هو ما يحقق السعادة.

تبيين

يعتقد أرسطو أن السعادة في وجود ملكات نفسانية راسخة هي التي تشكل نفس الانسان و سلوكه. و في تقييم الأعمال لابد من الالتفات الى الصورة الباطنية للعمل و صدوره من فاعل فاضل.

أي أن أرسطو اهتم بالحسن الفاعلي و دور نيّة الانسان في الأخلاق بالإضافة الى الحسن الفعلي و هذا ما يميز هذه النظرية عن غيرها.

مباني النظرية

محور هذه النظرية هو السعادة و الفضيلة، وقد ابتنت هذه النظرية على أن سعادة كل موجود و كماله يرتبط بوصوله الى الغاية و هي عبارة عن إظهار الاستعدادات الموجودة عنده بالقوة الى الفعلية، فسعادة الأطباء في تحقيق سلامة المرضى و سعادة المزارعين في زراعة أراضيهم و كمال شجرة البلوط في إثمارها لهذه الثمرة و هكذا ...

و لمعرفة المصداق الحقيقي لسعادة الانسان علينا أن نتعرف على استعداداته الخاصة و التي تميزه عن غيره من الموجودات، فالانسان مُركّب من روح و بدن.

والروح جزء أساسي و أعلى في الانسان، أما ما يميز الروح فهو التعقل، و بذلك يستنتج أرسطو أن للانسان نفس عاقلة خاصة به، تميزه عن بقية الموجودات، كما أنه قد تميز بها ليصل إلى غاية خاصة، و هي الحكمة، فالكمال الحقيقي للانسان في كمال عقله و سعادته في تعقله. و لهذا العقل بعدان: بعد نظري لكشف حقائق الوجود، و بعد عملي لكشف المهارات و أساليب السلوك. و المطلوب من الانسان هو

التكامل في كلا البعدين حتى يصل الى السعادة، إلا أنّ ما يهمنا هنا هو التكامل في بعد العقل العملي حيث وضع أرسطو نظريته الأخلاقية على أساس قاعدة الحدّ الأوسط الذهبية.

قاعدة الحدّ الأوسط

يعتقد أرسطو أن الحد الأوسط هو الضابطة الكلية في الأخلاق و التي يمكن من خلاله تمييز الفضائل عن الرذائل الأخلاقية، و يقول بأن الحد الأوسط هو الاعتدال ثم يذكر أصولاً لهذه القاعدة الأخلاقية الكلية عبارة عن:

١. أنّ للانسان ثلاث قوى: ناطقة، غضبية و شهوية
٢. هذه القوى تعمل معاً و لكلٍّ منها حد أوسط يعتدل فيه السلوك و يؤدي الى ظهور الفضائل الأخلاقية في النفس، كما لكل منها جهة إفراط و جهة تفريط تؤدي الى الإنحراف الأخلاقي و ظهور الرذائل الأخلاقية في النفس.

إن رعاية الحد الأوسط في القوة الناطقة يُوجِب ظهور الحكمة، ورعايته في القوة الشهوية يُوجب ظهور العفة، ورعايته في القوة الغضبية يُوجب ظهور الشجاعة.

وكل هذه القوى تدور حول محور واحد هو عبارة عن العدالة التي تظهر من مجموع الفضائل الثلاث، هذه هي أمهات الأصول الأخلاقية في التفكر الأرسطي، و هي عبارة عن: الحكمة، العفة، الشجاعة، و العدالة.

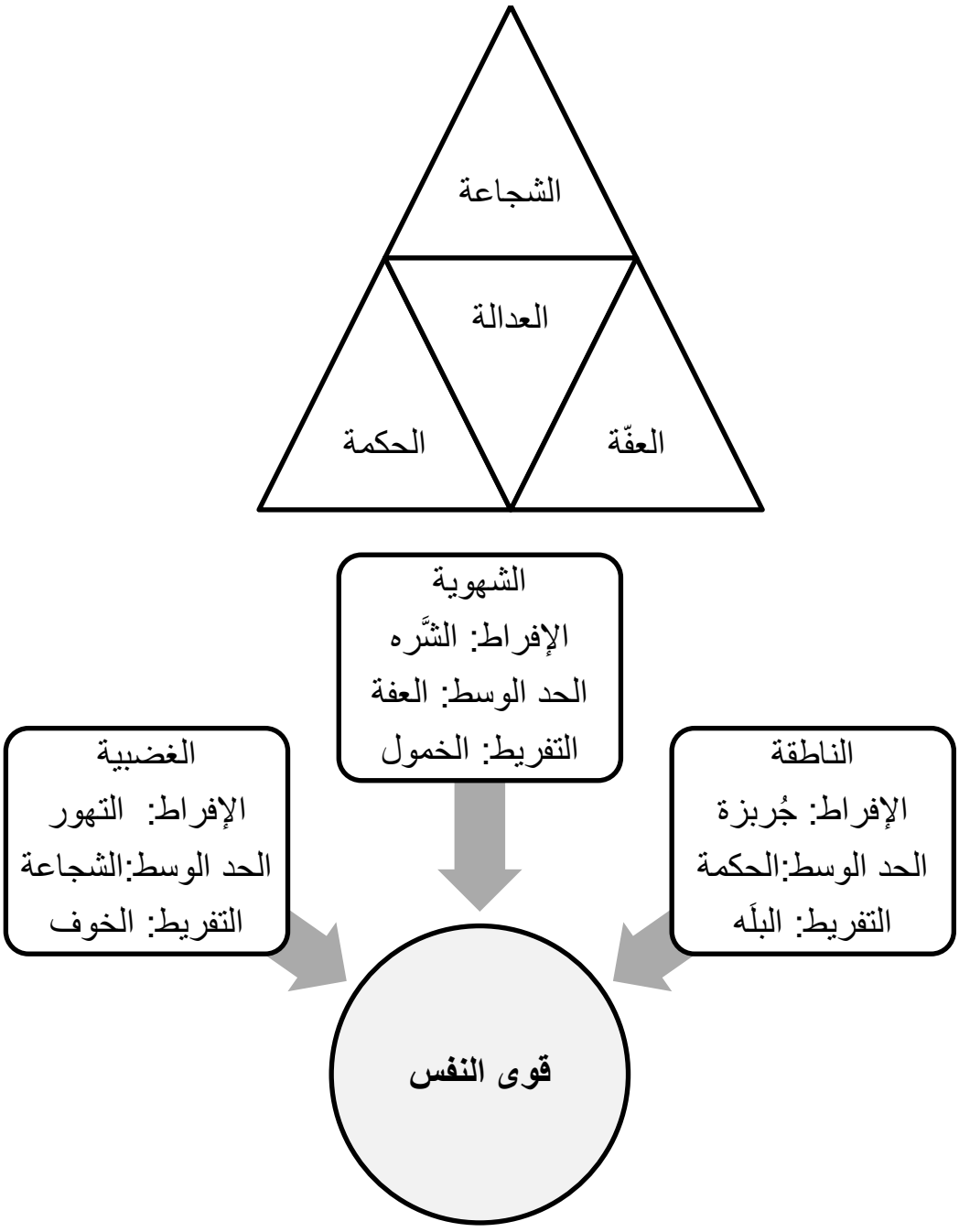

نقد

١. بالرغم من الامتيازات التي تميزت بها هذه النظرية إلا أنها غير عملية يعني لا ترشدنا إلى العمل الذي ينبغي أن نقوم به أو نتركه. حيث لم يذكر أرسطو ملاكاً يساعدنا على اختيار الأعمال المطلوبة بل تقدّم أرسطو خطوة إلى الأمام فذكر كيف يصبح الانسان انساناً

٢. من الصعب في كثير من الأحيان معرفة نوايا الأشخاص و أغراضهم الحقيقية التي أدَّت الى ترجيح أحد السلوكيات و الأعمال على غيره. وبالتالي نحتاج إلى ملاك أوضح يحدد لنا موقعية النيّة و النفس في النظام الأخلاقي.

٣. ركز أرسطو على النفس الإنسانية ولم يذكر علاقة الخالق بالنظام الأخلاقي أي أنه ركز على عالم المادة و علم العقل (عالم الخلق) و لم يذكر الخالق و علاقته بالنظام الأخلاقي.

تقييم

١. اذكر نظرية كانط في الأخلاق مع نقدها.

٢. ما الفرق بين سقراط و أفلاطون و أرسطو في تعريف السعادة؟

٣. ما المراد بقاعدة الحد الأوسط الذهبية؟

٤. بناء على نظرية الوظيفة، ما رأيك بالتكليف الإلهي للإنسان عند بلوغه سن التكليف، هل هو تكليف أم تشريف و لماذا؟

الدرس التاسع: النظام الأخلاقي في الإسلام

لعلّنا لاحظنا أن أساس الاختلاف بين الأنظمة الأخلاقية كان يتمحور حول مسألتين: مصداق السعادة و طريق الوصول الى السعادة.

إنّ السبب الرئيسي الذي يقف خلف هذا الاختلاف بينها هو اختلافها في الرؤية الكونية التي يُعتمد عليها في بناء النظام الأخلاقي.

لنتعرف على النظام الأخلاقي في الإسلام نحتاج الى تذكر مسألة مهمة و هي أن النظام يتكون من مجموعة مترابطة من الأجزاء تتمحور جميعها حول هدف واحد هو الملاك الذي جعلها مترابطة بمعنى أن النظام الأخلاقي حتى يتكون فإنه يمر في مراحل ثلاث:

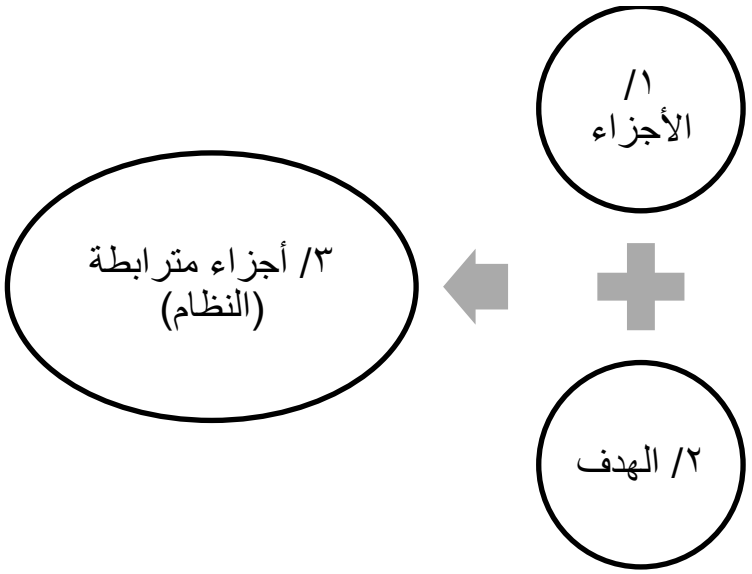

فالأجزاء تمثل مباني النظام كما سيأتي، والهدف يمثل الملاك و هو القرب الإلهي وسيأتي بيانه، كما أن ترابط هذه الأجزاء قائم على نظام العليّة و المعلوليّة الذي ذكرناه عندما بينّا شبكة الوجود و احتياجات الانسان بناء على الرؤية الكونية الإلهية.

مباني النظام الأخلاقي

١/ المباني الوجودية

إن الأخلاق في الإسلام هي جزء من النظام الإسلامي العام المبتني على كيفية رؤية الإسلام لهذا الكون، و ليس النظام الأخلاقي إلا عنصراً من عناصر ذلك النظام الديني، و قد ذكرنا أن من خصوصيات النظام وجود علاقة و تأثير و تأثر بين عناصره، من هنا يتوجب علينا أن نشير إلى العناصر المؤثرة على النظام الأخلاقي في الإسلام و التي تعتبر مبادئ النظام الديني و أصول رؤيته الكونية و هي:

الأصل الأول: أن الله الواحد هو مبدأ كل الوجود و كل ما سواه متعلق به و محتاج إليه؛ (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**)[1] فالمحور الأساسي الذي يبني عليه الإسلام منظومته الدينية بكل عناصرها هو التوحيد و ليس الانسان أو الفعل أو

[1] **فاطر: ١٥.**

النتيجة، بل إن كل هذه الأمور لها موقع مهم في النظام الديني لكن ليس لها قيمة ذاتية بل إن أهميتها تتحدد بعلاقتها بالأصل الأول أي أصل التوحيد، فالرؤية الكونية التوحيدية لها الدور الأساسي في تشخيص المطلوب الحقيقي للانسان.

الأصل الثاني و الثالث: النبوة و المعاد: هذان الأصلان يهيئان المقدمات المعرفية اللازمة، و يعدّلان الرغبات للوصول الى المطلوب الحقيقي، فللانسان أبعاد مختلفة و مُعقّدة، مما يُعسِّر عليه اختيار العمل الأفضل الذي يوصله إلى هدفه الحقيقي حيث قد تتغلب رغباته عليه، كما أن العقل يقصر عن إدراك كثير من المصالح و المفاسد فيرجع الى الوحي، فالتوجه الى النبوة شرط مهم في تشخيص الأعمال الحسنة و الأعمال القبيحة كما أن الاعتقاد بالمعاد يزيد من الرغبة في التحصن بالملكات الحسنة و التنفر من الرذائل، بالإضافة إلى ازدياد القدرة على التشخيص.

الأصل الرابع: الانسان، فالانسان عنصر أساسي في الأخلاق لأن الأخلاق هي صفات نفسانية و هي أفعال اختيارية للانسان، و لفهم حقيقة الانسان دور أساسي في تبني النظام الأخلاقي، و في تبني معيار و ملاك الأخلاق لأن الملاكات ترجع إلى احتياجات الانسان و تتمحور حول كماله المطلوب، كما أننا بحاجة الى معرفة الانسان للتعرف على

طرق الوصول إلى ذلك الكمال ، من هنا سنشير الى حقيقة الانسان في الإسلام.

حقيقة الانسان في الإسلام

للانسان بعدان: بعد جسماني و بعد روحي، و البعد الروحي هو الأعلى لأنه هو الذي يميز الانسان عن الموجودات الأخرى، و الروح موجود مخلد لا يفنى أبداً؛ يقول رسول الله صلى الله عليه و آله: (ما خُلِقتم للفناء بل خُلِقتم للبقاء و إنما تُنقلون من دار إلى دار)[1]. و نستنتج من خلود الروح ثلاثة مبادئ:

١. مصداق السعادة الواقعي هو كمال الروح لخلودها و تميز الانسان بها، نعم! الإسلام يدعو إلى الاهتمام بكلا البعدين و تأمين احتياجاته سواء كانت احتياجات جسمانية أو احتياجات روحية لكن الاحتياجات الروحية أرفع في الكمال الانساني.

كما أن كمال البدن فانٍ في حين أن كمال الروح غير محدود و لا نهاية له مما يجعل له أهمية بالغة، لا يعني ذلك حذف متطلبات البدن على حساب متطلبات الروح بل لابد من ترتيب الأولويات و الاهتمام في إشباع الاحتياجات البدنية و الروحية مع رعاية خاصة بالبعد الروحي. مع الإلتفات إلى أنّ هناك تأثير و تأثّر بين

[1] **جواهر البحار، باب السماء و العالم.**

هذه الإحتياجات بنوعيها، بمعنى أنّ انشغال الانسان باحتياجات البدن على حساب احتياجات الروح يجعل تلك الاحتياجات الروحية مشوّشة بالبدن و مقتضياته فتزداد الموانع التي تحدّ من قدرة الانسان على تلمّس احتياجات الروح أو التي تجعلنا نخطئ في تشخيص تلك الاحتياجات الروحية، في المقابل نجد أن الانشغال باحتياجات الروح و التركيز عليها يضعّف من احتياجات البدن و يحدّ منها[1]

٢. أن أعمال الانسان الاختيارية تؤثر على الروح و تصاحبها مصاحبة مستمرة؛ كل ما نراه، نسمعه، نفكر به، ننوي القيام به... يؤثر على أرواحنا!. القيام بأعمال حسنة يؤدي الى صفاء الروح و الأعمال القبيحة تؤدي الى تلوثها: (**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**)[2]

٣. إن الاختيار شرط أساسي في العمل الأخلاقي و بالتالي فإن للنية و الإرادة دور مهم في كمال الروح أو انحطاطها، و هذا التأثير هو تأثير تكويني و طبيعي و ليس اعتبارياً، فالنية من سنخ المعرفة و التوجه و الشعور الناشئ من النفس و لذلك فإنها تؤثر على النفس، من هنا اعتبرت النية روح العمل و أنها أرفع من العمل

[1] كما يذكر ابن سينا في كتابه الإشارات عندما يبحث عن اللذات الروحية و المادية

[2] المطففين: ١٤.

كما أشارت إلى ذلك بعض الروايات، روي عن الإمام الصادق عليه السلام: نية المؤمن خيرٌ من عمله و ذلك لأنه ينوي من الخير ما لا يدركه و نية الكافر شرٌّ من عمله و ذلك لأن الكافر ينوي الشر و يأمل من الشر ما لا يدركه. في النظام الأخلاقي الإسلامي، تعتبر النية الأصيلة للأعمال هي رضا الله و لرضا الله مراتب؛ إما أن يكون الرضا رضا العبيد أو التجار أو المحبين كما أشارت الروايات إلى ذلك. كما أن النية تؤثر على شكل العمل و مظهره (**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ**)[1]

٤. كما أن للعمل مراتب فإن للروح مراتب كمالية لا متناهية، على الانسان أن يلتفت الى أن اختلاف الناس في مراتبهم الكمالية لا يعني عدم وجود كمالات لديهم، من هنا جاء في الروايات نهي عن إقحام الانسان نفسه في الحكم على مقدار إيمان الآخرين ومرتبتهم الروحية: قال الصادق (عليه السلام) : يا عبد العزيز !.. إنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة ، فلا يقولّن صاحب الاثنين لصاحب الواحد : لست على شيء حتّى ينتهي إلى العاشرة ، فلا تُسقِطْ مَن هو دونك ، فيُسقطك مَن هو فوقك . وإذا رأيت مَن هو أسفل منك بدرجةٍ فارفعه إليك برفقٍ، ولا تحملنّ عليه ما لا يُطيق فتكسره، فإنّ

[1] **الإسراء: ٨٤.**

مَن كسر مؤمناً فعليه جبره!..[1]، و في هذا الباب روايات كثيرة تجدها في كتاب الكافي الشريف.

٢/ المباني المعرفيّة

يقوم النظام الأخلاقي في الإسلام على الاعتقاد بوجود علاقة بين الأحكام الأخلاقية و الواقع الخارجي، فالقِيَم التي يكتشفها العقل تبتني على واقع خارجي.

بعبارة أخرى: إن العقل يدرك القيم الواقعية للأفعال، نؤكد على هذه المسألة و هي أن العقل يدرك الإلتزامات الواقعية و لا يصدر أوامر و تكاليف كما ادعى كانْط، بل يدرك لزوم الإتيان بالعمل الذي يرغب الانسان في الحصول على نتائجه فيعبّر عنه العقل على شكل تكاليف و إلزامات عقليه ضرورية، و هذه الضرورة بما أنها ناشئة من المقارنة بين العمل و الغاية منه فإنها تسمى ضرورة بالقياس، أي ضرورة الإتيان بالعمل أو تركه بالقياس الى نتائجه المقرِّبة للغايات المطلوبة عند الانسان، و بما أن المقارنة بين أمرين واقعيين فإن هذه المفاهيم التي تسمى بالضرورات بالقياس هي مفاهيم فلسفية، فلا يوجد تباين بين الواقعيات العينيّة و الأحكام القيَميّة بل إن علاقتهما علاقة ضرورية أي علاقة عليّة و معلوليَّة.

[1] الكافي: ٢/ ٤٤.

ملاك القِيَم الأخلاقيّة هو القرب الإلهي

بناء على الرؤية الكونية التوحيدية فإن الكمال المطلوب و الذي يحقق سعادة الانسان هو القرب من الله وحده و هو الكمال المطلق، و كلما اقتربت الروح الانسانية منه كلما تكاملت أكثر.

فالسلوك الحسن هو كل سلوك يقرّبنا من الله و السلوك القبيح هو كل سلوك يبعّدنا عن الله سبحانه.

المراد بالقُرب الإلهي

من الواضح أنه لا يراد بالقرب القرب المكاني أو الزماني لأن الله لا مكان و لازمان له تعالى الله عن ذلك، و لا يراد به القرب التكويني لأنه سبحانه قريب من كل الموجودات على حدٍّ سواء و هذا القرب غير اكتسابي، في حين أنّ القُرب المطلوب هنا هو قرب اكتسابيٌّ يكتسبه الانسان باختياره و سلوكه.

و يراد به تكامل الروح الى درجة تشعر فيها بأنها عين التعلق و الفقر الى الله سبحانه، فيكون هذا الشعور حاضراً عند الانسان! هذا هو القرب الإلهي فهو تحول وجودي و صيرورة حقيقية في الروح و هجران مرتبة وجودية ضعيفة إلى مرتبة وجودية أرفع، و قد أشار القرآن إلى هذا القرب بعبارات الهجر و الانقلاب و الصيرورة، في قوله

تعالى: (**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**)[1] و قوله: (**إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ**)[2] ، (**وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**)[3].

بعض آثار القرب من الله

١. السكينة: (**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**)[4]؛

٢. القدرة المطلقة: يا ابن آدم أنا غني لا أفتقر أطعني فيما أمرتك أجعلك غنياً لا تفتقر[5]؛

٣. اللّذات الخالدة: (**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)[6]

طريق الوصول الى القرب الإلهي

الإيمان و العمل الصالح و هما ركنان لا ينفكان، فالإيمان أمر قلبي و اختياري، و لأنه اختياري تكون له قيمة أخلاقية، كما أن له مراتب يزداد و ينقص و قد يتبدل إلى كفر (**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**)[7]، فلابد من تقوية الإيمان حتى يصبح ملكة

---

[1] المدثر: ٥.
[2] الأعراف: ١٢٥.
[3] فاطر: ١٨.
[4] يونس: ٦٢.
[5] البحار، ج٩٠، ٣٧٦.
[6] الزخرف: ٧١.
[7] آل عمران: ٨٦.

نفسانية راسخة كما عبّر عنه الإمام الكاظم عليه السلام بالإيمان المستقر بقوله: (ما كان من الإيمان المستقر فمستقر إلى يوم القيامة أو أبداً و ما كان مستودعاً سلبه الله قبل الممات)[1].

و يعبَّر عن الإيمان بالحُسن الفاعلي. أما العمل الصالح فهو ما يعبّر عنه بالحُسن الفعلي و من الأعمال الصالحة التي أكد عليها القرآن الكريم هي الصلاة و الصوم و الإحسان و الإنفاق في سبيل الله، و بالقيام بالأعمال الصالحة يبني الانسان هويته الحقيقية، لكن شرط العمل الصالح هو الإيمان (**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**)[2]، كما أن السلوك غير الحسن من موانع الإيمان: (**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**)[3]

علاقة العلم بالإيمان و العمل

العلم هو شرط أساسي للإيمان و ذلك لأن متعلقات الإيمان الأساسية عبارة عن التوحيد، النبوة و المعاد.

---

[1] تفسير الصافي، ج٢، ص١٤٢ – ١٥٤.
[2] النور: ٣٩.
[3] الروم: ١٠.

لكي يتحقق الإيمان بها لابد من معرفتها: (**أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ ، وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ ، وَ كَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ**)[1]، فالعلم ضروري للإيمان إلا أن الإيمان هو أمر أرفع من العلم و المعرفة العقلانيّة، و قد يحصل العلم لكن لا يحصل الإيمان كما في قصة فرعون حيث نقل القرآن عنهم أنهم (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**)[2]

درجات القُرب من الله

لكل فرد درجة خاصة من القرب الإلهي ترتبط بمرتبته الإيمانية و مجاهداته العملية، قال تعالى: (**هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**)[3] ، و عن أمير المؤمنين عليه السلام: (أفضل العمل ما أريد به وجه الله)، و قد ذكرت أعمال توجب القرب الإلهي أهمها الصلاة و قضاء حاجة المؤمن، كما أن الشرك بالله و النفاق و التكبر من أمهات الأعمال القبيحة التي تُوجب البُعد عن الله و سقوط الانسان.

---

[1] نهج البلاغة: خ١.
[2] النمل: ١٤.
[3] آل عمران: ١٦٣.

بعض مميزات النظام الأخلاقي في الإسلام

١. التوجه الى دور العقل و الوحي معاً في تشخيص الأخلاق و تقييمها و كشف العلاقات بين السلوكيات و الواقع الخارجي لتبيين أيها يوصل الى الهدف المطلوب

٢. جامعية النظام لكل أبعاد وجود الانسان و احتياجاته فيشمل السعادة الدنيوية و الأخروية. من هنا فإن الاستفادة من المواهب الدنيوية أمر مطلوب بل لازم، لكن بوعي و بالإلتفات إلى التأثر و التأثير التكويني الحاصل بين هذه الاحتياجات في نفي الانسان.

٣. وجود نوعين من الأوامر في النظام الأخلاقي الإسلامي: أوامر عامة و كلية و أوامر أخرى جزئية تتمثل في الآداب الأخلاقية و التي تبين المظهر الخارجي للأخلاق و ترسم كيفية ظهور الأخلاق على الانسان مما يساعد على بناء النفس و ترسيخ الأخلاق حتى تصبح ملكات نفسانية؛ مثلاً نجد القرآن يوصي بالصبر عند المصيبة كأمر عام ثم نجده يبين بعض مظاهره ككلمة الاسترجاع و هو بذلك يبين لنا الأدب الخاص الذي يلازم حالة الصبر.

٤. قابلية التبيين والتوجيه العقلاني و ذلك لوجود أصول عامة كلية ناشئة من رؤية كونية إسلامية خاصة، فعندما نريد تقييم العمل فإننا نرجع إلى تلك الأصول.

٥. تأمين كل الملاكات و المصالح، فالنظام الأخلاقي الإسلامي حفظ لنا السعادة بمصاديقها المختلفة من اللذة و المنفعة و الوظيفة و العقل و المحتمع و الله و الفضيلة ... بدون تعارض بينها بل لكل عنصر من هذه العناصر موقعه في النظام الإسلامي و قيمته الأخلاقية.

٦. لم يكتف النظام الأخلاقي الإسلامي بالتوجه الى الحسن و الفعلي و الفاعلي فقط بل شمل كل الوجود بمراتبه، وجعل المحور في الأخلاق هو الله مبدأ الوجود و ليس الانسان، و هذه الميزة اختص بها النظام الأخلاقي الإسلامي عن غيره من الأنظمة.

٧. تبيّن لنا أن للقِيَم الأخلاقية في النظام الإسلامي مراتب و درجات و ليست على مرتبة واحدة.

تقييم

١. ما الفرق بين المباني الوجودية و المعرفية؟

٢. ما المقصود بالقرب الإلهي؟

٣. عدّد بعض آثار القرب الإلهي.

٤. من يعمل كم هائل من الصالحات دون إيمان بالله ، هل يتقرب لله و يتكامل بتلك الأعمال؟

٥. هل للقرب الإلهي درجات و لماذا؟

الدرس العاشر: المسؤولية الأخلاقية

المراد بالمسؤولية الأخلاقية

يراد بالمسؤولية الأخلاقية ذلك التعهد والالتزام الذي يلتزم به الفرد تجاه الوظائف الأخلاقية المطلوبة منه، فعليه أن يتحمل تبعاتها ويجيب إن سئل عن سبب تقصيره في القيام بها. قد تُكتَب الالتزامات بشكل قوانين تعاقِب عليها الدولة، فتسمى بالمسؤولية الحقوقية و قد لا تُكتَب فتسمى بالمسؤولية الأخلاقية.

منشأ المسؤولية الأخلاقية

يختلف منشأها تبعاً لاختلاف منشأ الوظائف و الإلزامات الأخلاقية فمن يعتقد بأن منشأ الإلزام هو التوافق الاجتماعي أي أن التوافق و التواضع الاجتماعي هو منشأ المسؤولية الأخلاقية.

أما أتباع نظرية الأمر الإلهي يعتقدون أنّ منشأ الإلزام والمسؤولية هو الوحي و إرادة الله التشريعية.

في حين يرى كانْط أن المنشأ هو حكم العقل.

أما بناء على النظرية الإسلامية فإن هناك علاقة ضرورية بين الفعل الأخلاقي و النتيجة الحاصلة منه و هذه العلاقة هي منشأ الإلزام الأخلاقي و يمكن بالمقارنة بين الأعمال الأخلاقية و نتائجها أن نحصل على الوظائف الأخلاقية.

إلا أن للمسؤولية الأخلاقية -أيًّا كان منشؤها- شروط لابد من توفرها، و عدم توفر أحدها يوجب سلب المسؤولية، و هي:

شروط المسؤولية الأخلاقية

١. العلم بالوظيفة الأخلاقية و إمكانية تحصيل العلم بها: ذكرنا قيد إمكانية تحصيل العلم بالوظيفة للتنبيه أن الانسان المقصِّر في التعلم مسؤول عن عدم تعلمه للوظائف الأخلاقية المطلوبة منه، أما القاصر فإنه غير مسؤول.

٢. القدرة على أداء الوظيفة الأخلاقية و إمكانية تحصيلها: حيث (**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**)[١] ؛ إلا أن قدرة الانسان هائلة جدا عندما تكون إرادته قوية، عن الإمام الصادق عليه السلام: (ما ضعُف بدن عما قويت عليه النية)[٢]

---

[١] **البقرة: ٢٨٦.**

[٢] **وسائل الشيعة، باب وجوب الإخلاص في العبادة و النية.**

٣. الحرية و الاختيار: الانسان يدرك بالوجدان أن أعماله تصدر عن اختياره[١].

حدود المسؤولية الأخلاقية و مراتبها

١. مسؤولية الانسان أمام الله: الله هو المالك الحقيقي ، و من حقه أن يسألنا عما يشاء (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)[٢] و بالتالي فنحن مسؤولون عن كل النعم التي وهبنا الله إياها.

لا شك أن مراتب المسؤولية تختلف باختلاف نوع النعمة و قيمتها، فأكبر النِّعم الإلهية التي عبّر عنها الله بالمنّة في كتابه هي نعمة وجود النبي الأكرم صلى الله عليه و آله بين الناس (**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**)[٣]

٢. مسؤولية الانسان تجاه ذاته: لقد وهب الله الانسان الكثير من النِّعَم العظيمة التي تبني هويته الشخصية. من هنا فإن الانسان مسؤول عن حفظ حياته و عزته و حريته، كما أنه مسؤول تجاه قدراته و استعداداته فلابد أن يبرزها و يصرفها في سبيل تكامله و رُقيّه ليصبح بحقّ خليفة الله على الأرض، و هو مسؤول عن

---

[١] **انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، معرفة الانسان في القرآن، بحث الحرية و الاختيار.**
[٢] الأنبياء: ٢٣.
[٣] **آل عمران: ١٦٤.**

تهذيب نفسه و إصلاحها (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**)[1]

٣. مسؤولية الانسان تجاه الآخرين: يؤكد الإسلام على أن (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**)[2]، و على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و على آداب الجار و المتعلم و العالم و الصديق و غيرها من الأخلاق الاجتماعية، كما يؤكد على إيجاد الصلح و المحبة بين الناس (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**)[3]، كما اهتم الإسلام بأول رابطة تكوّن البنية الاجتماعية و هي الأسرة، فالانسان مسؤول عن أداء الوظائف الأخلاقية المتعلقة بالوالدين و الزوج و الأبناء.

٤. مسؤولية الانسان تجاه سائر الموجودات: يؤكد الإسلام على ضرورة الإلتزام بالوظائف الأخلاقية المتعلقة بالحيوانات والنباتات و البيئة، فلا يجوز لنا التصرف مع الحيوانات كيفما نشاء، كما علينا الالتزام بالإنفاق على الحيوانات بما يناسبها حتى لو كان الحيوان لا ينفع بسبب الكبر و المرض، و أن لا نذبح الحيوان أمام مرأى الحيوانات الأخرى...

---

[1] **الحشر: ١٨.**
[2] **التوبة: ٧١.**
[3] **الحجرات: ١٠.**

تقييم

١. عرّف المسؤوليّة الأخلاقية.

٢. ما هو منشأ المسؤولية الأخلاقية؟

٣. عيّن حدود المسؤولية الأخلاقية من خلال التدقيق على النصوص الدينية التالية:

أ- **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)**

ب- **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)**

ت- **(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ)**

المُلحَقات

فعاليات الدرس الأول

موضوع البحث: فلسفة الأخلاق، مسائله، و الغاية منه

الأهدف:

١. **أن يشخّص الطالب مدى أهمية هذا العلم بالنسبة إلى حياته**

٢. **أن يتعرف الطالب على مسائل فلسفة الأخلاق**

٣. **أن يتعرف الطالب على المسار العام لفلسفة الأخلاق**

٤. **أن يقرر الطالب تحديد هدف لسلوكه**

طرح الدرس:

١/ ما مدى أهمية معرفتك الإجابة عن الأسئلة التالية:

ت	السؤال	مهم جداً	متوسط الأهمية	غير مهم
١	كيف أخطّط إلى طريقة حياتي؟			
٢	كيف أكوّن لي ثقافة (فكرية و سلوكية)؟			
٣	إذا قيل لك: كن مؤدباً؛ يعني كيف ينبغي أن تكون؟			
٤	ماهي العدالة و من هو العادل؟			
٥	ماهو ملاك تعيين حسن و قبح الأفعال؟			
٦	ماهو ملاك تعيين صحة و خطأ			

	الأفعال؟			
٧	الانسان: كيف يختار من بين الخيارات المتنوعة؟			
٨	كيف يتم تحديد قيمة عمل مّا؟			
٩	ما المراد بالانسان المسؤول؟			
١٠	للانسان وظيفة! مامعنى ذلك؟			
١١	من الذي يعيّن مسؤوليتنا و وظيفتنا و لماذا؟			
١٢	من أين نشأت الأحكام: (ينبغي و لا ينبغي)؟			
١٣	هل يجب علينا الالتزام بكل الأحكام (ينبغي و لا ينبغي)؟			
١٤	ماهو نموذج الأخلاق الانسانية؟			
١٥	هل ينبغي أن نتحمل كل خلق نراه؟			
١٦	أصلاً لماذا ينبغي أن نراعي الأخلاق؟			
١٧	ما هو البعد الأساسي في شخصية الانسان؟ كيف تتشكل شخصية الانسان؟			
١٨	كيف يمكن أن نصوّر حال المجتمع المثالي؟			

٢/ تأمّل في الحدث التالي، ثم أجب عن الأسئلة:

دخلت زهراء الغرفة، فوجدت أختها أسماء تشاهد مسلسلاً في موقع اليوتيوب، فتعجبت و سألتها هل دفعنا رسوم الاشتراك لتعود لنا خدمة الإنترنت؟ فأجابت أسماء بزهوّ: لا و لكنني اكتشفت أن لدينا شبكة في الغرفة و لا يوجد عليها حماية! فقالت زهراء لكن هذا العمل قبيح جداً! لا ينبغي لكِ أن تفعلي ذلك، فقالت أسماء: إنك تقولين هكذا لأن جهازكِ لا يعمل ولو كان يعمل لفعلتي ما أفعل و استحسنتي الفكرة مثلي و ربما أكثر مني. فقالت زهراء أنا لا أفعل ما يزعج الآخرين لأنهم إن علموا فسوف لن يتوانوا عن إزعاجي في المستقبل...

حدد مورد الخلاف بين الأختين في جملة واحدة فقط (مبتدأ و خبر) ؟

ما هو منشأ (سبب/مِلاك) الاختلاف؟

.كيف يمكن حل الاختلاف؟

هل تقبل بأن حل الاختلاف هو في قبول الخلاف و التعايش معه؟

يرجع اختلاف هاتين الأختين الى انتمائهما الى نظامين أخلاقيين، فما المراد بالنظام الأخلاقي؟

٣/ تأمل في ما ذُكر ثم أجِب:

إذا قمت بعملٍ مّا ثم سألك أحدهم لماذا قمت بهذا العمل، ماذا ستجيب؟

كيف تعالج مشكلة بين شخصين يتنازعان؟

إذا سألك أحدهم ما هو أهم هدف لديك في الحياة، ماذا ستجيب؟ و كيف ستحققه؟

٤/ ما الفرق بين الأخلاق ، الأدب و علم الأخلاق؟ و ما الفرق بين الأخلاق و فلسفة الأخلاق؟

٥/ أيهما أهم : الصدق أو التقوى، العدالة أو التقوى؟

فعاليات الدرس الثاني

موضوع البحث:الجملات الأخلاقية إخبارية أم إنشائية

الهدف:

١. أن يتمكن الطالب من ربط الجمل الأخلاقية بالواقع

٢. أن يدرك الطالب العلاقة بين العمل و الواقع

٣. أن يتمكن الطالب من التمييزبين المفاهيم الأخلاقية.

طرح الدرس:

١/ هل الجمل التالية لها مصداق خارجي؟ وهل هي صحيحة أم خاطئة:

مشهد في شمال إيران

احضركأس ماء

هل أنت وُفّقت في حياتك حتى اليوم؟

٢/ كيف يكوّن الذهن هذه العبارات؟

٣/ ما هي آثار القول بإنشائية الجمل الأخلاقية؟

٤/ ما الفرق بين: الصدق حسن ، قل الصدق

٥/ ما السرفي التعبيرعن الأحكام الأخلاقية بجمل إنشائية

٦/ عندما يسمع أحدنا عن أحداث العوامية فيقول هذا ظلم، فيجيبه أحدهم بل هذا هوعين العدل!

كيف اكتشف ذهنك مفهوم العدل و الظلم؟

٧/ ما الفرق بين ينبغي في الجمل التالية:

راع حقوق الآخرين / ينبغي رعاية حقوق الآخرين

ألا ينبغي للمسلمين أن يتحدوا أمام أعدائهم / من أجل حفظ استقلال المسلمين وعزتهم ينبغي أن يتحدوا أمام العدو.

٨/ متى يقال عن عملٍ مّا أنه عمل: حسن، قبيح، صحيح، خطأ؟

فعاليات الدرس الثالث و الرابع

موضوع البحث: تقييم العمل الأخلاقي و مبادئ النظام الأخلاقي

الهدف:

١. أن يتمكن الطالب من تقييم الأعمال الأخلاقية

٢. أن يستخرج الطالب أساسيات و مبادئ النظام الأخلاقي من خلال الدروس السابقة.

طرح الدرس:

١/ أي الخطوات التالية هي الصحيحة من حيث الترتيب:

تشخيص العمل الصحيح – معرفة حُسن العمل - الإقرار بضرورة الإتيان بالعمل (ينبغي)

تشخيص حسن العمل – معرفة صحة العمل - الإقرار بضرورة الإتيان بالعمل (ينبغي)

تشخيص حسن العمل - الإقرار بضرورة الإتيان بالعمل (ينبغي) - معرفة صحة العمل

٢/ كيف يكتشف الذهن الأحكام الأخلاقية مثل (ينبغي/ لا ينبغي)؟

٢/ تختلف الأحكام في مستوى أهميتها، فكيف نحدد أهمية الحكم؟

٣/ إذا قيل لك أنه بما أنك أمّ / أب فأنت موظف بتربية طفلك/ بتولي شؤون أسرتك و حمايتها، ما معنى الوظيفة و متى تتولد الوظائف للانسان؟ وكيف يمكنه تأدية هذه الوظائف؟

٤/ ما هي وظيفتك التي تشغلك في هذه المرحلة من عمرك؟

٥/ متى تكون قيمة العمل ذاتية و متى تكون عرضية؟

٦/ افترض أننا قد تركنا جميع القوانين الأخلاقية و طُلب منك وضع قوانين من جديد، ماذا تفعل؟ اكتب المراحل التي ستتبعها من أجل وضع قوانين أخلاقية..

إن الذهن يكتشف المفهوم بملاحظة أجزائه ثم ملاحظة العلاقة بين الأجزاء.

ملاحظات:

١. أهمية الحكم تتعلق بأهمية العمل و مقدار احتياجنا إليه
٢. تتولد الوظيفة من الإلزام و الحكم بلزوم الإتيان بهذا العمل، فعندما نلتزم بعمل مّا فأننا نجعل قوانا تتمركز عليه، فالتمركز يساعدنا على القيام بالوظيفة، و هذا ما نقوم به من خلال التخطيط حيث أننا في عملية التخطيط نقوم بتركيز قوانا و إمكانياتنا على الهدف المطلوب تحقيقه.
٣. إن قيمة العمل تكمُن في كونه هو الهدف أو أنه موصِل إلى الهدف، فبعض الأعمال تكون موصلة لأهداف و غايات فتكون قيمتها عرضية أما إذا كان العمل هو بذاته الهدف فإن قيمته تكون ذاتية، مثلاً عندما يتحرر المجتمع و تقام العدالة فإن هذا المجتمع يصبح سعيداً، و بناء على نظريتنا الفلسفية للوجود فإننا نؤمن بوجود إله و هو هدفنا النهائي في حين أن الحرية و العدالة ليست إلا أهداف موصلة إلى ذلك الهدف النهائي فالآية (اعدلوا هو أقرب للتقوى) تبين أن العدالة وسيلة للوصول الى التقوى فالعدالة عمل آلي موصِل و ليست هدف نهائي أما التقوى، فهي القرب من الله (قوا

أنفسكم و أهليكم ناراً) التقوى من الوقاية و الحفظ إذن في النظرية الإسلامية كل الأعمال قيمتها عرَضية و القيمة الذاتية تكمن في عمل واحد فقط هو التقرب من الله في حين أنه في بعض المدارس يكون هدفها النهائي هو السعادة أو العدالة فتكون لها القيمة الذاتية في حين أن كل ما يؤدي إليها تكون قيمته عرَضية.

٤. عندما نريد وضع قانون سلوكي (نظام أخلاقي) فإننا بحاجة إلى معرفة التالي:

١/ معرفة احتياجات الانسان: ما هي احتياجاته؟ هل هي مادية أم هناك احتياجات معنوية أيضاً؟ ؛و ذلك لأن معرفة الاحتياجات هو أساس الأخلاق و الحقوق؛

٢/ معرفة التأثير و التأثر سواء بين الاحتياجات أو بين العلاقات القائمة بين الموجودات؛

٣/ معرفة كيفية رفع هذه الاحتياجات؛

٤/ معرفة هدف الانسان ، و إلى أين نريد إيصاله من خلال هذه القوانين؟.

فعاليات الدرس الخامس

موضوع البحث: شبكة الوجود(التكوين) و مبادئ المدارس الأخلاقية غير التوصيفية

الهدف:

١. أن يتمكن الطالب من تشخيص احتياجاته الأساسية
٢. اكتساب القدرة على تمييز ملاك المدرسة الأخلاقية الإسلامية عن غيره
٣. أن يكتشف الطالب المدرسة الأخلاقية غير التوصيفية بناء على مبادئها و يتمكن من نقد تلك المبادئ

طرح الدرس:

بعد أن تعرفنا على مبادئ المدرسة الأخلاقية، الآن نريد أن نرى كيف طبقها الانسان و ماذا أوجد من أنظمة أخلاقية. فقد ذكرنا في الدروس السابقة أن المدارس الأخلاقية على قسمين إما أنها توصيفية أو غير توصيفية هي المدارس التي تعتقد بوجود ملاك واقعي للنظام الأخلاقي يكتشفه العقل و قد اختلفوا في ماهية ذلك الملاك، أما المدارس غير التوصيفية فقد ذكروا أنه لا يوجد ملاك واقعي للأخلاق يكتشفه العقل و اختلفوا في منشأ هذا الملاك فقال الأشاعرة أن الله هو منشأ الحسن و القبح و قال التجربيون أن الحس هو ملاك الحسن و القبح و قال آخرون أن التواضع و التوافق الاجتماعي هو منشأهما!.

١/ برأيك ما هو منشأ –ملاك- الحسن و القبح؟

٢/ هل الحسن و القبح نسبيين؟

٣/ ما الفرق بين فهم المدارس الأخلاقية التوصيفية و غير التوصيفية للجمل الأخلاقية؟

٤/ لو قلت: علي حسناً فعل لأنه ساعد ذلك المريض. أنت عن ماذا أخبرت هنا؟

٥/ لو قلت بسعادة: علي ساعد ذلك المريض. فهل ستوصل نفس المعنى الذي توصله العبارة السابقة المقترنة بلفظة (حسن)؟
٦/ هل هناك فرق بين مفهوم قبيح في ما يأتي:
السرقة عمل قبيح
يا للعجب! لونٌ قبيح

٧/ علمنا حتى الآن أن هناك علاقة توليدية بين العلم بالواقع (ما هو موجود) و القيمة العملية (ما ينبغي الاتيان به) و بين الحسن و القبح و الملاكات الواقعية، كما علمنا أن الأخلاقيات ليست أموراً اعتبارية محضة و إنما تتولد من الواقع و تحتاج الى التوافق مع الواقع حتى نقبلها، السؤال:
١.برأيك هل هذا التوافق يتعلق بالمجتمع و بالتالي فإن الحسن هو ما يستحسنه المجتمع و القيح هو ما يستقبحه المجتمع؟ اذكر السبب سواء كانت إجابتك : نعم أو لا .

هل هذا التوافق يتعلق بأمر الله عز و جل؟ يعني ما أمر الله به حسن و ما نهى عنه قبيح، هل هذا كل ما نحتاجه؟ اذكر السبب سواء كانت إجابتك : نعم أو لا .

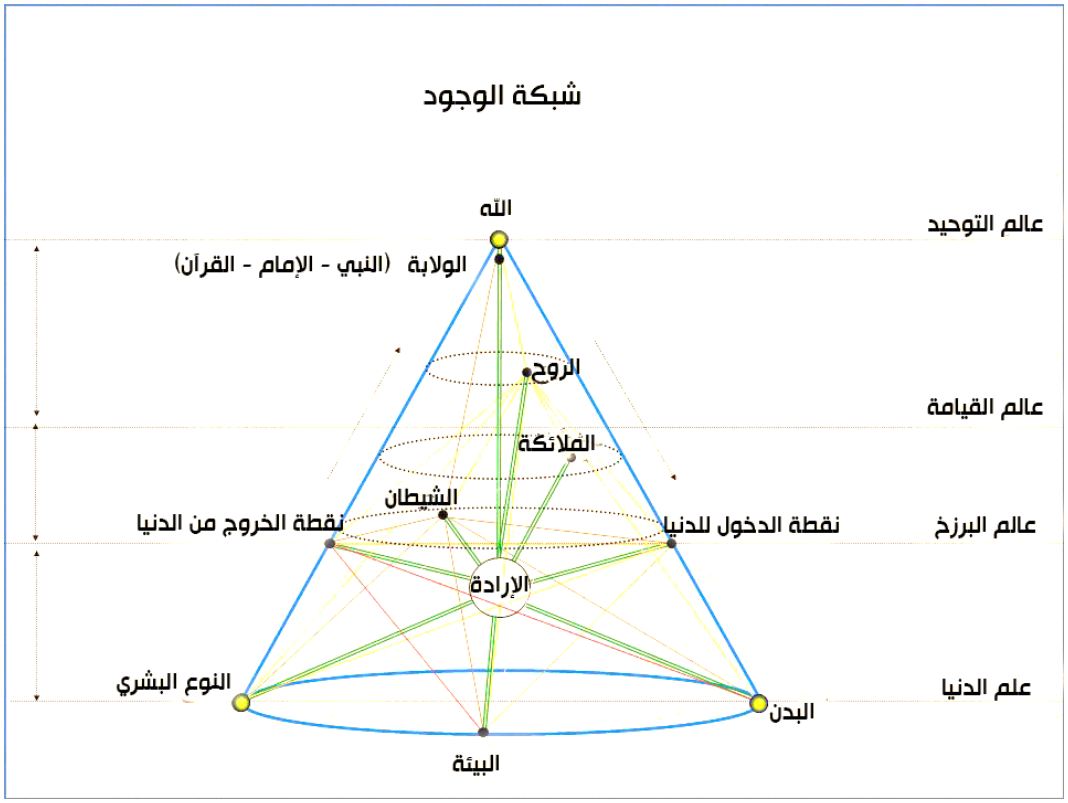

١. ملاك الحسن و القبح يكمن في مقدار ما يؤمّن من احتياجات الانسان و بمقدار ما يوصل الى الهدف و بمقدار غلبة النفع على المضار.

٢. العمل إما أن يكون هدفاً أو موصلا للهدف و بهذا يتعين مدى مطلوبيته و أهميته

٣. إن المدارس التوصيفية ترى أن الجمل الأخلاقية توصيف للواقعيات أما المدارس غير التوصيفية فترى أن الجمل الأخلاقية لا علاقة لها بالواقع بل هي من اعتبار المعتبِر ثم اختلفوا في المعتبر من هو هل هو الله أو المجتمع الانساني أو الحس و التجربة.

٤. نحن ندعي أن القوانين الطبيعية تشمل كل الموجودات المادية و المجردة، فكل القوانين الطبيعية هي قوانين واقعية، تمثل عين الواقع، و نقصد بالواقع أي الموجود خارج أذهاننا

٥. الفرق بين الأمر الواقعي و الاعتباري في نظام الخلقة يرجع الى ضرورة التوافق، فعندما نتخيل جدارا و نتخيل أننا قد عبرنا بأجسادنا من خلاله فإننا نتمكن من تخيل ذلك بكل سهولة لأن ذهن الانسان خلاّق لما يشاء لكن في الواقع الخارجي لا يمكنه خلق ما يشاء، فلو وجد الجدار في الخارج فلن يتمكن من العبور من خلاله و لا يمكنه تغافل وجوده للعبور فينبغي الأخذ بالأمور الواقعية حتى نصل الى الهدف المطلوب بمعنى أننا إذا أردنا فعل شيء مّا لابد أن يتوافق مع نظام الخلقة، من هنا فإننا بحاجة الى فهم هذا النظام و تخطيط النظام الحياتي بما يتوافق معه لأن الأمور الواقعية موجودة بدون اختيارنا و هي مؤثرة سواء وجد الانسان أم لم يوجد و سواء علم بها أم لم يعلم، هذا هو نظام الخلقة الطبيعي الذي ينبغي أن ينطبق الحسن و القبح عليه، و يمكنك التأمل في شبكة الوجود أعلاه التي تبين النظام الطبيعي للخلقة لاستكشاف احتياجات الانسان الأساسية و ما ينبغي عليه أن يعرفه كما بيّنا في الدرس السابق.

٦. إن مشاعر الانسان أمور واقعية مرتبطة بالفطرة –من حيث منشأها- من جهة و بالواقعيات من جهة أخرى، فإخبارنا عن فعل علي و أنه ساعد الفقير يستلزم إخباراً عن أننا نستحسن هذا الفعل و نطلبه لأنه يقرّبنا الى الهدف المطلوب، فالجمل الأخلاقية ليست إلا إبراز لمشاعرنا و ميولنا و رغباتنا الفطرية.

فعاليات الدرس السابع و الثامن

موضوع البحث: المدارس الأخلاقية التوصيفية

الهدف:

١. أن يكتشف الطالب النظام الأخلاقي التوصيفي بناء على مبادئه

٢. أن يتمكن الطالب من نقد تلك المبادئ

طرح الدرس:

١/ أجريت سكينة عملية في أسنانها بسبب كثرة أكل الحلويات و بمجرد أن استيقظت قامت بأكل الحلوى من جديد، سألتُها عن السبب فقالت: أحب ذلك. برأيك ما هو ملاك سكينة في سلوكها؟ وكيف تعالج المشكلة؟

٢/ ما هو دور ا لعقل في ميدان رغبات البشر؟

٣/ ما هو دور المجتمع في تحديد رغبات الانسان؟

٤/ المنفعة الاجتماعية العامة هل هي هدف للالتزام الأخلاقي أم وسيلة و لماذا؟

٥/ انسانية الانسان بعواطفه و محبته للآخرين و بالتالي فإن ما يُعمل على أساس حب الذات قبيح و ما يُعمل على أساس حب الآخرين فهو حسن. ما رأيك في هذه العبارة؟

٦/ إن القانون الحاكم على الطبيعة هو أن القوي يلتهم الضعيف، و الانسان عنصر من عناصر هذه الطبيعة بالتالي فإن القدرة هي أساس الأخلاق، ما رأيك في ذلك؟

٧/ هل الوجدان الاجتماعي أي عواطف الانسان تكذب على الانسان؟ إذا كانت لا تكذب فلماذا لا تكون هي الملاك في النظام الأخلاقي؟

الأسئلة السابقة تمثل أهم النظريات الأخلاقية المقابلة للنظام الأخلاقي الإسلامي ، عليك في نقدها أن تكتشف الإجابة عن خمسة أسئلة مهمة، و هي:

س١: هل احتياجات الانسان منحصرة بما ذُكر في النظرية؟

س٢: هل هذه الحاجة واقعية أم تخيلية و إحساس كاذب؟

س٣: هل رفع هذا الاحتياج يوجب ظهور احتياجات أكثر أم لا؟

س٤: هل رفع هذا الاحتياج هو أمر يستحسنه الجميع أو لا؟

س٥: ما هي الحاجة الأهم عند الانسان؟

المنابع

- القرآن الكريم
- نهج البلاغة

١. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، قم، ١٤٠٩هـ.

٢. دبيرى، أحمد، فلسفه اخلاق بارويكرد تربيتى، قم، معارف، الطبعة الأولى: ١٣٩٢.

٣. دروس صوتية للأستاذ الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي

٤. دروس صوتية للشيخ عبد الحميد واسطي

٥. دروس صوتية للشيخ محمد عبد الحسين خسروپناه

٦. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥هـ ش.

٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٤هـ.

٨. مصباح، مجتبى، بنيادى ترين انديشه ها، قم، انتشارات مؤسسه امام خمينى، الطبعة الأولى: ١٣٩٢.

٩. مصباح، مجتبى، فلسفه اخلاق، قم، انتشارات مؤسسه امام خمينى،الطبعة١٢: ١٣٨٢.

١٠. معلمى، حسن، فلسفه أخلاق، قم، انتشارات مركز جهانى علوم اسلامى، الطبعة الأولى: ١٣٨٤.

١١. يزدي مصباح، محمد تقي، نقد و بررسى مكاتب اخلاقى، انتشارات مؤسسه امام خمينى، الطبعة الثالثة: ١٣٩٢.